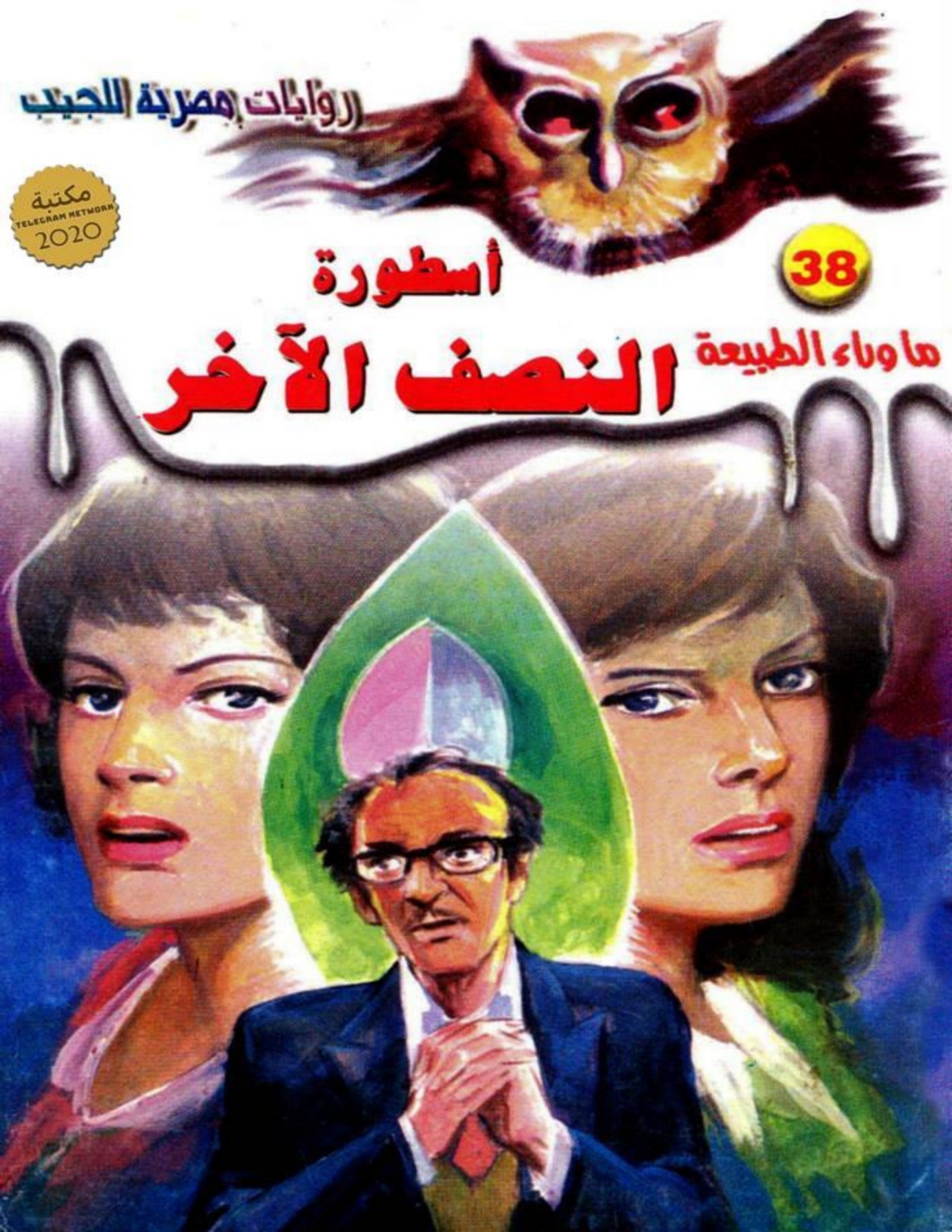

روايات مصرية للجيب
مكتبة
TELEGRAM NETWORK
2020
38
ما وراء الطبيعة
أسطورة
النصف الآخر


TELEGRAM
NETWORK
TELEGRAM
NETWORK

مقـدمـة

ها نحن أولاء نلتقي من جديد، ولكن مع شيء من الغرابة.. لقد تحدثنا في القصص السابقة عن كل الأشياء الكريهة على غرار (هو) - الذي يمشي في الظلال - والدمى المسحورة اللعينة، وفصائل النازيين التي لا ترضى بأن تموت بسهولة، وكل الهراء من هذا النوع..

حسن.. يبدو أن الوقت قد حان لنتحدث عن اشياء غريبة.. هناك أشياء كريهة وأشياء رهيبة وأشياء خارقة للعادة وأشياء غريبة، وقد اخترت اليوم القائمة الأخيرة..

أغلقوا باب السرداب وتأكدوا من أن الأشباح لن تغادره.. أغلقوا المزلاج بإحكام وتعالوا هاهنا..

تعالوا إلى العجوز (رفعت إسماعيل)، أستاذ أمراض الدم المتقاعد وهاوي الأشباح الذي أرغمه كل شيء على هذه الهواية...

هل ستقرءون هذه القصة في الشتاء؟ إذن أضرموا النيران في الموقد ـ المدفأة ـ الراكية وانكمشوا جيدًا لتتنعموا بالدفء..

هل ستقرءونها صيفًا؟ إذن أغلقوا النوافذ بإحكام.. إن شخصًا حيًّا يغمره العرق لخير من جثة باردة..

والآن هل استعددتم تمامًا؟

أرجو ألا ينهض أحدكم فجأة ليشرب كوبًا من الماء أو.. أو.. لأن هذا يقطع حبال أفكاري كما تعلمون..

سأحكى لكم حكاية النصف الآخر..

* * *

الفصل الأول:

لا أهميّة له
سوى الحشو
ويمكن
لسريعي الملل
أن يبدءوا
بالفصل الثاني

قالت (نجلاء):

ـ «الواقع يا د. (رفعت) أن ما أشعر به لا يتجاوز مجموعة من الخواطر واللمحات والانطباعات التي قد تكون حقيقة، وقد تكون وليدة خيال امراة لم يتعلم قط كيف يهمد أو ينام...

«إن لكل قصة بداية.. ومن الخطأ أن نقلب الغلاف الأخير كي نعرف النهاية لأن مبرر وجود القصة يتلاشى بهذه الطريقة.. وبدايتي كما تعلم كانت في (القاهرة).. في (شبرا) بالتحديد..»

«إن أبي موظف بسيط من تلك الطبقة التي نعتبرها (مستورة).. فهو لم يرنا مذاق الثراء لكنه - أيضًا - حمانا من لدغة الجوع، وكان أبًا من الطراز الذي يمكن أن تضعه في القاموس، وجواره سهم يشير إليه مصحوبًا بكلمة (أب).. هل تعرف جيل الآباء ذوي الشارب الكث والبطن الكبير. الذين يعودون للدار ظهرًا حاملين الجريدة والبطيخة، والعرق يسيل على صلعتهم؟

وتكون أمي - الريفية البارة - قد أعدت طعام الغداء، فيلبس جلبابه ويصلي الظهر ثم نحتشد حول الطبلية.. كنا من الطبقة التي تملك مائدة طعام، لكنّها تفضل الأكل على الطبلية. ولم تكن مائدة الطعام تستخدم سوى للاستذكار.. هل تعرف هذه الطبقة؟ حسن!

بعد هذا يجلس أبي في الشرفة مستمتعًا بفرد ساقيه على البلاط البارد، وتأتي أمي بصينية بها البطيخة مقطعة، فيبدأ في التهامها ولا ينسى أن يحتفظ بالبذور السوداء، فهي تتيح لهما ساعات متعة لا بأس بها في أمسية صيف أخرى..

«بعد هذا يتجشأ مرة أو مرّتين، ويعلن أن ميعاد النوم قد حان... كنا في ذلك الزمن

السعيد حين كان الناس ينامون عصرًا، ولا ينزلون إلى الشارع بحثًا عن عمل جديد لزيادة الدخل..»

«وهكذا.. يجرع جرعتين من القلة الموضوعة على السور، والتي نقعنا في الماء المحيط بها بذور المشمش لتلين، ثم يعلن من جديد أن وقت القيلولة قد حان.. صحيح أنني و(ناهد) لا نرغب في النوم.. صحيح أننا مليئتان بالطاقة راغبتان في مزيد من اللّهو، لكنّ كلمة أبي هي حكم لا يُرد..»

انتهيت من رشف قدح القهوة، وبحرص وضعته على الزجاج.. ثم سألتها وأنا أعود إلى استرخاء جلستي:

- «(نجلاء).. حين جئت هاهنا كنت أحسب أنك تدخرين لي ما هو أكثر من انطباعاتك عن طفولتك..»

بدورها جرعت من مشروب المياه الغازية.. ولاحظت أنها تجرع جرعات أكبر مما ينبغي لفتاة.. لا بد أنها ستتجشأ الآن..

بالفعل تجشأت، لكنّ داخل فمها المغلق، فانتفخ خداها للحظة.. ثم قالت:

- «إنني سمعتهن يقلن ما هو أكثر وأطول في برنامجك (بعد منتصف الليل)، ولم تعترض وقتها.. بل قلت إن كل هذا يضعك في الجو...»

بحثت عن رد يفسر هذا التناقض ويحرجها، فلم أجد..

لذا آثرت الصمت، وأشرت لها كي تستمر في قصتها..
قالت:
- «بعد هذا التحقنا بالمدرسة.. وكنا.....»

❋ ❋ ❋

وكعادتي قمت بضبط ساعتي على ردود فعل منتظمة كلما مضت دقيقة أو دقيقتان.. على غرار (مم؟).. (هم م م؟).. (آه ه!) (هم؟).. (هاها).. مما يوحي لها بأنني أتابعها بدقة.. وشرد ذهني..
بدأ الأمر بمكالمة هاتفية من د. (محمد شاهين).. هل تذكرون أستاذ (الأنثروبولوجي) طيب القلب الذي عرفته

بسبب سوء فهم قاتل في قصة (آكل البشر)؟ لقد كدت أضربه وقتها، ثم انعقدت بيننا صداقة حميمة إلى حدٍ ما.. فنحن في عالم لا يحوي أنصاف الحلول.. إما أن تكون ظالمًا أو مظلومًا، سارقًا أو مسروقًا، خادعًا أو مخدوعًا.. لهذا وجدت أنني أميل إليه لأنّه - (محمد شاهين) - مظلوم مخدوع مسروق دائمًا..

أعرف أن الشخصية القويمة هي التي لا تَظلم ولا تُظلم.. لا تَخدع ولا تُخدع.. لا تَسرق ولا تُسرق.. لكنّ أين هذه الشخصية اليوم؟

لهذا وجدت أنني أميل إلى مصادقة العصفور وليس الأفعى..

تلقيت منه مكالمة هاتفية، قال فيها إنّه بحاجة إلى مشورتي..
ـ «لماذا يا أبا حميد؟»
- «إن الأمر يتعلق بابنة أختي.. (نجلاء)..»
وكنت أعرف أن له أختًا جاءت من قريته مباشرة إلى بيت زوجها في (شبرا).. وهى فلاحة طيبة باسلة لا تعرف شيئًا عن أي شيء ولا يهمها معرفته..
- «خيرًا؟ هل هي مصابة بسرطان الدم؟»
ثم اعتذرت عن هذه الغلطة في التعبير.. فلماذا يطلب أحدهم رأي طبيب أمراض دم إذن؟ ثم اتضح لي أن الفتاة تريد الجانب

الآخر من شخصيتي: صائد الأشباح الهاوي..
وعرفت أن (نجلاء) في الثالثة والعشرين من عمرها.. غير متزوجة.. تخرجت في كلية الحقوق.. تتدرب في مكتب محام شهير بلا أجر.. وظروفها الماديّة لا تفوق ظروف أية فتاة أخرى في ظروفها!
قال لي (محمد شاهين):
- «إن (نجلاء) تعاني مشكلة معينة.. ولن أستطيع الكلام أكثر في الهاتف لكننا بحاجة الى معرفة رأيك.. هل الأمر يقع في دائرة الخوارق.. أم في دائرة الأمراض النفسية؟»
ابتسمت وقلت متخيرًا ألفاظي:

- «لا بد أن (الحاجة) أختك قد قامت بعمل اللازم في هذا الصدد.. ولا بد أن شيوخًا كثيرين من طراز (الهدهد المصاب بالبواسير) قد رأوا الفتاة..»

ضحك طويلًا في سماعة الهاتف، ثم قال:

- «أنت محق في استنتاجاتك كالعادة.. لكنهم جميعًا فشلوا حتى إن أختي صارت - مع كثير من الامتعاض - على استعداد لسماع رأي أمثالك..»

- «إن هذا يملؤني قلقًا.. لكني بحاجة لأن أرى الفتاة..»

- «هل أنت في القسم غدًا؟»

- «نعم.. وليكن هذا في الحادية عشرة صباحًا..»

بعد قليل من الصمت، سألني في توجس:

ـ «أ.. (رفعت) هل سرطان الدم احتمال وارد حقًّا؟!»

هنا صعد الدم إلى رأسي، ووضعت سماعة الهاتف حتى لا أنفجر في وجهه.. إن هذا الرجل لن يكف عن السذاجة.. كأنها واجب مقدس!

* * *

وطبعًا ـ لكم أن تراهنوا على ذلك ـ كنت قد نسيت كل شيء عن الموضوع في الموعد المحدد.. إلى أن انفتح باب مكتبي ليدخل (محمد شاهين) بوجهه المبتل عرقًا، ويلثمني مائة مرة على خدّي.. ثم يلتقط

أنفاسه وقد كاد يُصاب بنوبة قلبيّة، ثم قدّمني إلى (نجلاء)..

وكنت قد كونت فكرة مسبقة - لم تخطئ كثيرًا - عن مظهرها، فـ (محمد شاهين) لا يمكن اتهامه بالجمال، وكذلك أخته بالتأكيد..

إذن لن تكون (نجلاء) بارعة الحسن أبدًا ما لم يكن أبوها في جمال أبطال الأساطير الإغريقية..

وكانت (نجلاء) متوسطة الجمال حقًّا، لكنّ لها ذلك الوجه المريح الذي يبعث في نفسك الشعور بأنك تعرفها من قبل، مع مسحة الاحترام والوقار النفسي مما يشي بأصل طيب.. (بنت ناس) حقيقيّة رباها آلها جيدًا..

دعوتها للجلوس، وطلبت العامل كي يحضر زجاجة مياه غازية وقدحي قهـ.....

- «بل قدح واحد يا (رفعت).. فأنا سأنصرف لأن عندي محاضرة.. ثم إن انصرافي سيتيح لها حرية الكلام..»

- «كما تحب..»

وسرني التخلص منه لأنّه سيزيد الأمور سوءًا، ولن يترك لها الفرصة كي تقول كلمة مفهومة واحدة..

بعد هنيهة صمت سألتها كي لا تنهمك في التحديق في البساط إلى حد إحداث ثقب به:

- «يُمكنك الكلام إذن..»

هنا جلب لنا العامل ما طلبنا، ورمق الفتاة بنظرة خبيثة كأنه قد فهم كل شيء، وكاد يغلق الباب علينا عند انصرافه لولا أنني

(شخطت) فيه.. لا أحب التذاكي ولا المتذاكين أبدًا..

عدت أسألها عن قصتها، وأنا أرجو أن ينتهي هذا الهراء سريعًا..

قالت وهي تتحسس زجاج مشروبها البارد في شرود:

- «د. (رفعت).. هناك من يتألم ويفرح ويحلم بدلًا مني!».

❋ ❋ ❋

الفصل الثاني:

لا أهميّة له
سوى التطويل
ويمكن
لســريعي
المــلل البدء
بالفصل الثالث

- «فليكن ذكرًا يا رب.. ثم ليكن ما يكون بعدها»

لا بد أن عبارة كهذه كانت تتردد في ذهن الأستاذ (عبد الجواد)، وهو ينتظر قلقًا في الصالة خارج غرفة النوم، لفافة التبغ توشك على أن تحرق أنامله، بينما

الصرخة الطويلة المعذبة تدوي من وراء الباب المغلق.. والداية (أم أيمن) تصاحب هذا بإيقاعها الخاص (ياالله! خليكي تخلصي!).. فتزداد الصرخات شراسة، ويضع د. (محمد شاهين) شقيق زوجته كفه على معصمه يدعوه للهدوء..

الصالة كئيبة ضيقة، تتناثر الأطباق على مائدة الطعام.. فقد باغتت آلام الولادة الأم وهي تلتهم عشاءها، وكانا في ذلك الزمن حريصين على تناول العشاء على المائدة، قبل أن يصنع له الأسطى (طه) تلك الطبلية العتيدة التي صارت ملتقى الأسرة.. في كل ركن من الصالة تجد منشفة ملقاة، أو سروال منامة خلعه وهو يرتدي ثيابه على

عجل، أو خرقة لا تدري دورها بالضبط لكنّها هناك..
من المطبخ تهرع (أم بلبل) حاملة وعاء الماء الساخن، متجهة إلى غرفة النوم.. لا ولادة دون ماء ساخن كما أنه لا حافلة دون نشال.. ويستمر الصراخ.. ثم يدوي صوت عواء المخلوق الصغير الذي - لأول مرة من تسعة أشهر - يطرد من دفء الرحم وظلامة المريح للأعصاب..
وتخرج الداية بوجه مكفهر بعض الشيء لتصارح الأب بأنه رزق بطفلة حسناء.. لا.. بل بطفلتين! لقد كانت المرأة حاملًا في توءمين..
إن الأمور تسير هكذا دومًا.. أكثر الرجال ولعًا واشتياقًا لإنجاب الذكور يلقون عقابهم

فورًا.. لكنّ (عبد الجواد) كان في حالة تفكك نفسي وجسدي كامل، فلم يجد في روحه ما يسمح بالشعور بخيبة الأمل، بل وجد الدموع ولا شيء سواها..

طفلتان**!** مصيبتان على الأرجح، لكنه سيجد الوقت الكافي للأسى فيما بعد، أمّا الآن فالمهم الإطمئنان على البائسة الغالية..

وكانت المرأة بخير، وقد راحت (أم بلبل) تردد عبارات التهنئة الممزوجة بالعزاء، وتمليه قائمة لا بأس بها بلوازم المولودتين.. كان هذا عصرًا لا يعيش الطفل فيه ما لم يشرب المحيطون به (المغات).. ولا تعيش النفساء ما لم تلتهم ثلاث دجاجات يوميًا..

وكان (عبد الجواد) يعرف كل هذا، وقد أعد كل شيء للحصول على نصيبه في الجمعية التي نسقها مع زملائه في العمل، ويتقاضاه في هذا الشهر بالذات.. إن أربعين جنيهًا لمبلغ فادح حقًّا يسمح بشراء كل ما يحتاج إليه الموقف..

وتسأله الداية عن الاسم الذي سيختاره للتوءمتين، فيقول دون استشارة الزوجة (وهذا شيء طبيعي.. إنه هو الأب فما دخل الأم في الموضوع؟):

- «سيكون اسم واحدة (نجلاء) والأخرى (ناهد).. ولكن كيف أميز بينهما؟»

لكنّ حين رأى الرضيعتين أدرك أن سؤاله لا مجال له ها هنا، فالتوءمتان غير متشابهتين.. وكانت واحدة منهما تملك

وحمة كبيرة في فخذها، ولها رأس مستطيل غريب الشكل.. أمّا الأخرى فكانت حسناء لو أمكننا قول هذا عن رضيع ملوث بالدم، ما زال وجهه مجعدًا كقرد صغير..

ذات الرأس المستطيل ستحمل اسم (نجلاء).. أمّا الأخرى فستحمل اسم (ناهد).. لم يكن ضليعًا في اللغة العربيّة، لذا افترض أن اسم (ناهد) يوحي بجمال أكثر مما لاسم (نجلاء).. ثم إن تماثل حرفي (النون) بدا له موسيقيًا إلى حد لا يوصف..

وراح يلوك الاسم بين شفتيه كمن يتلمظ:

- «(ناهد عبد الجواد).. (نجلاء عبد الجواد).. لا بأس.. لا بأس على

الإطلاق!»

* * *

وواءءء! ووواءء!
وحتى في ساعات الفجر الأولى..

* * *

تقول (نجلاء):
- «لم تلحظ واحدة منا شيئًا غير معتاد في حياتها..»
لقد كبرنا كأي توءمين آخرين.. ولم يكن بيننا تشابه لهذا نجونا من الملحوظات السخيفة المعهودة لدى الكبار، ولم تحتر

المعلمات بشأننا، ولم تحاول أمي أن تميزنا بعلامة ما..

وكما هي العادة، تشابهنا في بعض الصفات.. لكن اختلافنا كان أشد، وهذا طبيعي لإظهار التضاد بيننا.. إن اللون الأسود لا يصير أسود إلا لأن هناك أبيض.. والسماء ليست سماء إلا لأن تحتها أرضًا.. هذا طبيعي..

من البداية بدا للقوم أنني اتخذت نموذج الفتاة الذكية اللامعة المنكبة على دروسها، لكنّها متوسطة الجمال منطفئة تمامًا اجتماعيًا، وبكثير من العسر يمكنها أن تنطق ثلاث كلمات ذات معنى..

أما (ناهد) فاتخذت نموذج الحسناء العابثة خالية الرأس، التي تعيش أتعس لحظات

حياتها أمام الكتاب، وتلقى ـ برغم هذا ـ كل تدليل المعلمات.. إن المعلمات يتصرفن بطريقة مختلفة مع الطالبة الجميلة مهما بلغ غباؤها، ومهما بلغ حبهن للعدل..

وهكذا.. كنت أحظى أنا بالتشجيع الدراسي بينما تحظى هي بكل شيء آخر.. وفي المنزل كان لها مكان خاص ومنزلة متميزة لديَّ ابي.. وكان يقول لها في غضب مصطنع:

- «ليت لك ربع عقل أختك ومثابرتها..»

لكنّ وجهه كان يقول العكس.. كان يقول إنّه حقًّا ليس غاضبًا تمامًا كما يدّعي.. كان يقول إنّه - كأكثر الرجال - لا يؤمن بأهمية عقل المرأة.. المهم هو وجهها.. وفي هذا الصدد نالت (ناهد) درجة الامتياز أمّا أنا فنجحت بصعوبة..

وأحصل على درجة ٩٧ بالمائة في الشهادة الابتدائية، بينما تحصل هي على



أما (ناهد) فاتخذت نموذج الحسناء العابثة خالية الرأس ، التى تعيش أتعس لحظات حياتها أمام الكتاب . .

76 بالمائة تزغرد أمي وتوزع أكواب (السوبيا) الباردة على الجيران، وتقول كأنما تمدحني:

- «إن (نجلاء) تملك عقل رجل!»

فتقول الجارات الشمطاوات:

- «و (ناهد) تملك وجه امرأة.. ثم إنها لم ترسب.. لقد نجحت نجاحًا لا بأس به أبدًا!»

كنا طفلتين بينما هذه المشاعر تمزق روحي..

الآن دخلنا مرحلة المراهقة، فكيف بذات المشاعر إذن؟

كلا يا د. (رفعت).. لا تظلمني.. أنا لم أحسد أختي ولم أتمن قط أن يحترق وجهها بالحمض مثلًا.. كما لم أتمن أن يكون لي وجهها.. كل ما هنالك هو أنني شعرت

بنفاق وغباء هذا المجتمع الذي يحكم على الناس بمجرد النظر لوجوههم.. يُمكنك - وأنت لست جميلًا يا د. (رفعت) - أن تبرع في عملك، وأن تكون طاهرًا ساميًا ذكيًا، وأن تضحك للجميع وتغسل وجهك كل صباح، لكنهم - صدقني - لن يضعوك أبدًا في مكانة د. (رأفت) زميلك هاهنا.. و (رأفت) هذا لا يملك أية موهبة سوى ملاحة قد لا يستحقها..

* * *

كانت (ناهد) حمقاء، وحسبت أن مهمتها الوحيدة في الكون هي استعراض جمالها الفاتن.. أمّا أنا فكنت كالقطار السريع لا

أعرف لي طريقًا خارج القضيب الحديدي الواصل بين بيتي والمدرسة، أقطعه في دقائق وأنا أنظر إلى قدمي، فلو استبدلوا بحرًا بشارع (شبرا) لما لاحظت ذلك، لكنّ (ناهد) كانت ستلاحظ حتمًا..

بات واضحًا أن (ناهد) ستتزوج قبلي.. في الغالب بعد إنهاء دراستها الثانوية، لأنّها ليست من الطراز المناسب للتعليم.. ثم إن الخُطّاب بدءوا يفدون إلى دارنا وهي بعد في السنة الأولى من المدرسة الثانوية!

وهو حدث جلل كفيل بجعل صاحبته ملكة متوجة في المدرسة الثانوية، حيث لا كلام لدى البنات المفعمات بالأحلام إلا عن هذا اللغز الأسطوري الرهيب: العريس...

وفي الصف كانت (ناهد) قد أنشأت لنفسها عصابة صغيرة، من الفتيات المدركات لجمالهن، وكن يجلسن في نهاية الفصل يمارسن حيلًا صغيرة على المدرسين، أو يمزحن بصوت خافت ولا يتابعن حرفًا مما يُقال..

أما أنا فكنت أجلس في موضع متقدم.. وأثبت ذاتي بأن أكون أفضل وأذكى، ولا أترك سؤالًا يلقيه المعلم إلا أجبته.. عندها كان ينظر للصف الخلفي ويقول في تهكم:

- «ليت لك ربع عقل أختك يا (ناهد)..»

فيجيء صوتها الضاحك من خلفي:

- «لقد اختارت هي العقل واخترت أنا الجمال ولم يعد بوسع واحدة منا أن تتراجع!»

فيهز المعلم رأسه.. إنّه يخجل طبعًا من أن يعترف بصحة هذا.. لكنه يرى ويعرف جيدًا.. لقد تقاسمنا كل شيء كما تقول (ناهد) ولا يوجد تفسير آخر..

* * *

لكننا لم نتشاجر قط، ولم نكن قطًا وفأرًا كما تتصور...

كنا شقيقتين.. صحيح أنني كنت أملك صديقاتي وكانت هي تملك صديقاتها، وكان لي عالمي وكان لها عالمها.. لكننا - في موعد الانصراف - كنا ننصرف معًا، ليبدأ الجزء الثاني من يومنا.. خاليًا من الضغائن لكنه - كذلك - خال من المودة الحارة.. إن

السلام لا يعني الحب دائمًا.. قد يعني (عدم الحرب) كذلك، وكان هذا هو السلام السائد بيننا..

ثم دارت الأيام - التعبير المبتذل القديم - حاملة لنا بعض المسرات المحدودة كأخ ذكر جاء على غير موعد، وبعد أعوام طويلة من عدم الإنجاب.. أي أنني أكبر هذا الأخ بخمسة عشر عامًا أو أكثر قليلًا، وكانت هناك بعض الأحزان التي لا تخلو منها حياة أية أسرة كوفاة عمتي، وإصابة أبي بنوبة قلبيّة شفي منها لكنه لم يعد قط كما كان.. وكانت فكرة طفله الصغير جدًا الذي يوشك أبوه على الرحيل تؤرق أبي كثيرًا..

- «أولاد الشيب يتامى!»

هكذا كان يردد دائمًا وهو يرمق الصغير يقرقر ضحكًا، أو يهرول في الصالة بمشيته الحديثة المضحكة المترنحة...

والآن انتهت دراستنا الثانوية، ولم يكن ما حققته فيها يماثل ما انعقد عليّ من أحلام.. ربما كان اضطراب حالتي النفسية أو اضطراب الظروف هو السبب.. كنت أتمنى أن أكون مهندسة لكنّ لم تبق لي سوى كلية الحقوق، وشتان بين أن تدخلها لأنك تحب القانون وأن تدخلها لأنّه لا يوجد سواها..

أما عن (ناهد) فمن الطبيعى أنها رسبت.. كلنا كنا نعرف ذلك وننتظره كي تبدأ الجزء الثاني من حياتها..

- «إن (ناهد) لا تصلح لتلقى العلم.. دعونا نزوجها إذن»
قالها أبي كأنما يضيف جديدًا، وكأن هذا لم يكن مخطط حياة (ناهد) منذ كانت في السادسة من عمرها..
وينفتح الباب ليدخل (محمود شهاب).. مهندس في الثلاثين من عمره.. له ملامح (رشدي أباظة) لو أنّ هذا الأخير كان أحول العينين قليلًا، ولم يكن من هذا الطراز الحديث الباحث عن عقل المرأة، أو المؤمن بدور المرأة في المجتمع.. كان يريد زوجة تسر عينيه وكفى.. والحق أنه كان أحمق.. إن (ناهد) لا تصلح زوجة على الإطلاق.. إنها لوحة جميلة يعلقها في

غرفة الصالون لا أكثر، وعليه بعد هذا أن يبحث عن زوجة حقيقيّة!

لكن (محمود) تزوج (ناهد).. وكان بيتهما السعيد في (حلوان)، مما جعلهما بعيدين عنا حقًّا، وكانت حياتهما هانئة على الأقل في بدايتها.. لم يكن شيء غريب في كل هذا.. لأن القصة لم تبدأ بعد.

❋ ❋ ❋

الفصل الثالث:

لا أهميّة له
سوى التطويل
ويمكن
لســريعي
المــلل البدء
بالفصل الرابع

قلت لـ (نجلاء):

- «كل هذا جميل ويسرني سماعه، لكني مازلت بانتظار لحظة ظهور مصاص الدماء، أو انفتاح قبر عمتك لتخرج منه جثتها المتآكلة جاحظة العينين.. لقد اعتدت

سماع ورؤية هذه الأشياء، وإنه ليثير قنوطي أن.....»

- «سيخيب أملك إذن!»

قالتها وهي تضع زجاجة المياه الغازية على الزجاج، وتتجشأ مرّة أخرى بطريقتها المكتومة التي تكور خديها، وأردفت:

- «لن تجد شيئًا من هذا في قصتي.. إنني أتحدث عن.. عن أطياف المشاعر!»

أطياف المشاعر! إنها الثانية عشرة ظهرًا وأنا مرهق جائع ثم تجيء هذه لتحدثني عن أطياف المشاعر.. ساعة كاملة ولما يبدُ لقصتها رأس ولا ذيل.. إنها - ببساطة - تريد أن تشتم أختها الحسناء (ناهد) وأن أوافقها على ذلك وإلا كنت وحشًا جاهلًا..

أمري لله.. أكملي يا (نجلاء) هانم..

* * *

قالت (نجلاء):

- «وفي يوم كنت عائدة من الكلية بأسلوب القاطرة الشهير المأثور عني.. ذات المشية التي كنت أمشيها وأنا في المدرسة الابتدائية، ولا فارق سوي أنني تعلّمت ركوب الحافلات المزدحمة والوثب في أثناء سيرها، واحتضان حقيبتي كي لا يدسّ أحدهم يده فيها..

كنت أعبر الميدان المزدحم أمام الجامعة حين.. حين ماذا؟

لا أدري بالضبط.. يبدو أنني طرت في الهواء وأنا أسمع صوت فرامل حادة عنيفة

مولولة، ثم سقطت كجوال القطن على الأسفلت.. ولم أصدق أنني أستحق كل هذه الضوضاء، وأنّ هذا يحدث لي أنا بالذات..

كنت خجولًا أمقت لفت الأنظار، حتى لو كان هذا بسبب حادث سيارة، لهذا سارعت بالنهوض ألملم ثوبي وأفتش عن حذائي الذي طار في مكان ما، ورأيت صاحب السيارة يصيح مغضبًا:

- «حمقاء! ألا تفتحين عينيك أبدًا؟»

لم أرد لكنّ المحتشدين المتحمسين قاموا باللازم، وسرعان ما ابتعدت عنهم في توتر كأنني حيوان غريب برّي.. لست من الطراز الذي يقف ليولول في هستيريا أو يلوم السائق.. إنني حية وكل أطرافي

تتحرك.. فلا داعي لمزيد من الضوضاء أرجوكم..

وهرعت أتواري باحثة عن الحافلة التي ستعيدني إلى البيت..

فقط حين ابتعدت، أدركت أن كل عظامي تؤلمني، وحين عدت للدار لم أخبر أحدًا بما حدث؛ لكني - أمام المرِآة - رأيت الكدمات في كل صوب.. حقًّا لقد كانت صدمة قوية..

نمت كالقتلى حتى منتصف الليل، ثم أيقظتني أمي حاملة صحفة عليها طعام العشاء وكوب لبن، ولثمت جبيني وقد شعرت بأن مرضًا ما قد بدأ يغزو جسدي، وكل الامهات - كما تعلم - يعتقدن أن كل الأمراض تبدأ وتنتهي بالبرد.. لماذا أصر

على ارتداء هذا الـ (بول ـ أوفر) الخفيف بينما أضطر للخروج في السابعة صباحًا كي ألحق بالكلية؟

قالت لي كذلك إن (ناهد) وزوجها كانا في زيارتنا الليلة، وإن (ناهد) كانت مريضة بدورها وكأن كل عظمة من عظامها قد تم تهشيمها بيد الهاون.. وقد رفض الزوجان أن يوقظاني..

ثم أعربت عن حنانها الأمومي قائلة:

- «ألا ليت مصيبة تأخذكما معًا لأستريح من قلقي عليكما!»

وضربت كتفي في غل ثم تمنت لي ليلة طيبة.. والاستذكار؟ فليذهب إلى الجحيم.. صحتك أهم من أي شيء..

وأطفأت النور..

* * *

في الأيام التالية يا د. (رفعت) لم ألحظ شيئًا غير طبيعي.. إن الآلام تحدث لنا جميعًا وأكثرها بلا تفسير..

كم مرة شعرت فيها بالم في كاحلك، أو وخزة في صدرك، أو رأيت كدمة لا تفسير لها على ذراعك؟ كم مرة شعرت فيها بصداع لا تفسير له؟ كلها أشياء تحدث ولا تستحق التعليق..

في نهاية الأسبوع قمت مع أبي بزيارة (ناهد) في دارها في (حلوان).. إنها رحلة شاقة حقًّا. لهذا لا نقوم بها إلا مرة في

الشهر، ولم تكن حياة (ناهد) ذات منغصات خاصة أكثر من أية حياة زوجية أخرى..

كانت (ناهد) مدللة لم تتحمل مسئولية قط، ولم تعد كوب شاى لنفسها، ثم أدركت الحقيقة المريعة: إنها لن تظل أميرة للأبد... إن زوجها المهندس المكافح يحتاج إلى ربة بيت كذلك!

كانت لديها طفلة صغيرة في العاشرة من عمرها تعينها إلى حدٍ ما، وهي خادمة من قرية أمي.. لكنّ ماذا بوسع طفلة أن تفعل أمام هذا الكم المريع من المهام؟ الغسيل.. الطهي.. الكي.. التنظيف..

ووسط هذا كانت (ناهد) تحاول أن تقنع نفسها أنها سعيدة.. لكنّ خيبة الأمل كانت

جلية على وجهها، وللمرة الأولى في حياتي شعرت بأنها تحسدني!

جلس أبي مع (محمود) في الصالة يثرثران، ويقرران سياسة الدولة وهل ينبغي على (عبد الناصر) أن يوقف حرب الاستنزاف أم لا، بينما رحت أساعد (ناهد) في الغسيل.. لقد ابتاع لها (محمود) غسالة ثياب كهربية من ذلك الطراز الرهيب الذي لم يكن هناك سواه وقتها..

وكانت (ناهد) واقفة على يسار الغسالة، تمد يدها بالماسك الخشبي لتلتقط قطعة قماش طافية فوق سطح الماء، لكنّها تعثرت واضطرت إلى الاستناد إلى جسم الغسالة المعدني.. هنا يجب أن أقول إنها كانت حافية القدمين، وإن سلكًا ما كان

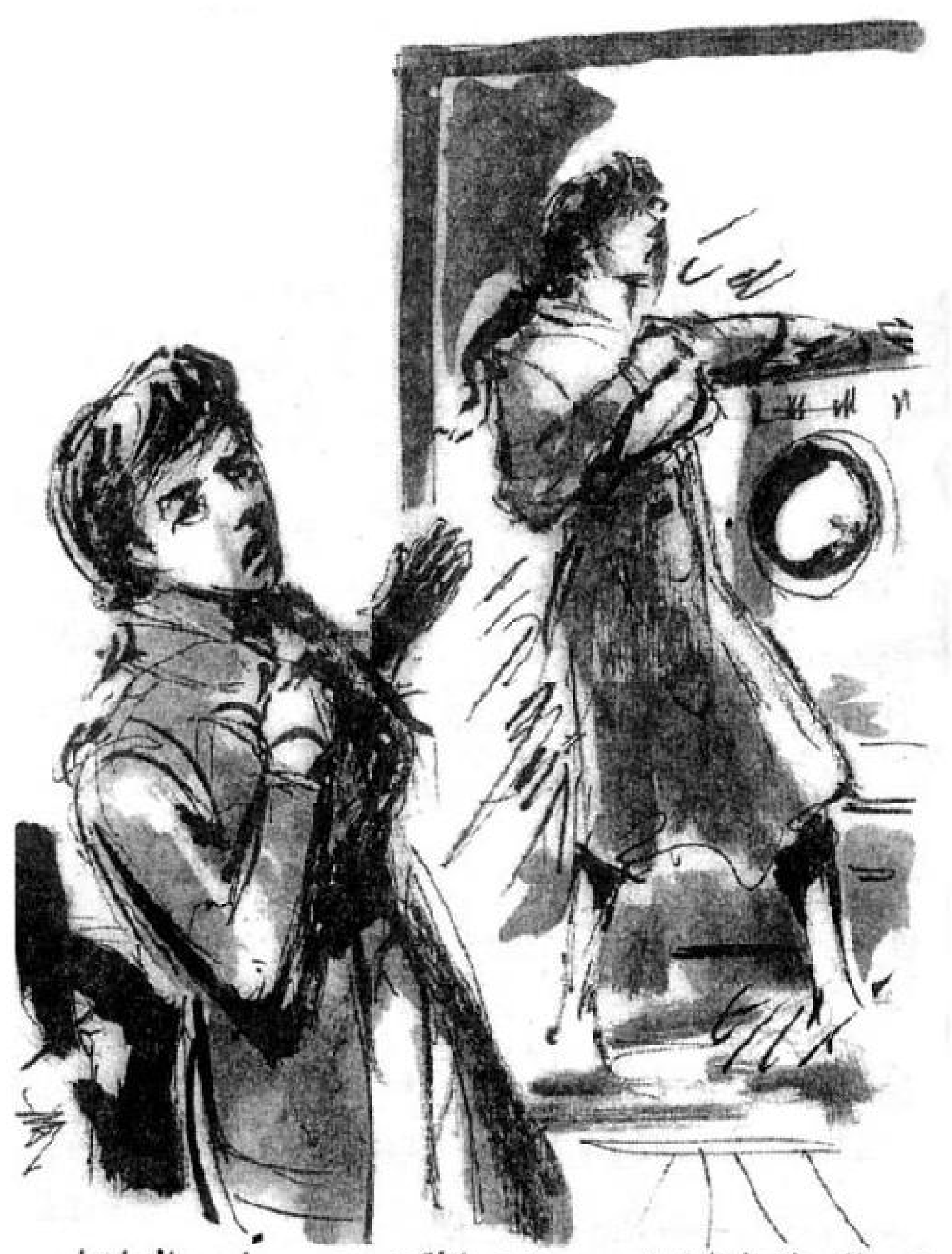
عاريًا في هذا الجهاز الغير محكم الصنع..
و.....
هي ي ي ي ي ي ي ي ي!
دوت صرختها المعذبة الشنيعة المليئة بالانتفاض والاهتزاز، ورأيتها تتصلب دون أن تتخلى عن تمسكها بالمعدن، و.....
في اللحظة التالية شعرت بقوّة هائلة ترجني رجًا من الداخل... يد عملاق تعتصر قلبي وتحاول اقتلاعه مني أو اقتلاعي منه...
وصرخت بدوري..

وفي غمرة الألم أدركت أن أرض الحمام المبتلة قد أغلقت الدائرة الكهربية المارَّة بجسدينا.. وكنت حافية القدمين كذلك..

إنه.. إنّه المو.. و.. ت!

سريع التصرف كما يحدث في السينما - أليس شبيهًا بـ (رشدي أباظة) لولا بعض الحول؟ - اندفع (محمود) إلى الحمام ليرى المشهد العجيب..

ودون أن ينتظر ثانية للفهم وثب إلى لوحة (المنصهرات) الكهربية المجاورة للحمام، فانتزع الأجسام الخزفية كلها وألقاها أرضًا، وانقطع التيار الكهربي عن المنزل..



فى اللحظة التالية شعرت بقوة هائلة ترجنى رجًا من الداخل . يد عملاق تعتصر قلبى وتحاول اقتلاعه منى أو اقتلاعى منه .

وفي اللحظة التالية سقطنا على الأرض معًا كجلمودي صخر حطهما السيل من عل، كما لا بد أن (امرؤ القيس) كان سيصفنا.

بعد هذا كان المشهد التقليدي: أبي يدلك وجهي ويلدغه، بينما (محمود) يسقي زوجته بعض الماء.. وكلانا - أنا وهي - على الأرض المبتلة باردتي الأطراف زرقاويي الشفاه...

فيما بعد قال (محمود) في عصبية:

- «من الحمق أن تمد المرأة يدها إلى جهاز كهربي، وهي حافية القدمين فوق أرض مبتلة.. إن أي حمار جر يعرف هذا جيدًا بالسليقة..»

وقال أبي وهو يتحسس صدره في قلق:

- «لقد كدت أفقدهما في ثانية. لقد قدر الله ولطف بنا..»

لكنّ (محمود) ظل يرمق أرض الحمام في فضول، ثم قال:

- «الغريب أن الماء لا يصل إلى حيث (نجلاء).. وإنني لأسائل نفسي عن سبب الـ.....»

- «إنها الكهرباء!»

قالها أبي كأنما هي إجابة تغني عن أي شيء..

عاد (محمود) يقول:

- «لقد استكملت (ناهد) الدائرة الكهربية حين لمست المعدن، لكنّ ما الذي لمسته (نجلاء)؟ ما الذي استجد بالنسبة لها؟»

قلت في إنهاك:

- «حقّا لا أجد تفسيرًا.. لعلي لامست جسم الغسالة دون أن الاحظ ذلك»

من جديد قال أبي منهيًا الكلام:

- «إنها الكهرباء.. لا تسأل أبدًا عن الكهرباء..»

لكنّ (محمود) غمغم للمرة الأخيرة وهو يرمق أرض الحمام:

- «حقًّا.. مازلت لا أفهم..»

لا أفهم...

* * *

الفصل الرابع:

لا أهميّة له
سوى الإطناب
ويمكن
لسريعي الملل
أن يبدءوا
بالفصل
الخامس

قالت (نجلاء):

- «مرض غريب بدأ ينتابني في الأشهر التالية.. وهو مرض غامض حقًّا يغلب الظن أن كتب الطب لم تصفه..»

سألتها وقد بدأت القصة تثير شغفي:

- «صفي لي الأعراض.»

تنهدت وتحسست قرطها المتدلي، وقالت:

- «دوار شديد.. كل شيء لا يثبت في موضعه.. حياتي كلها حالة من لحظات ما بعد دوراننا المستمر حول أنفسنا في الطفولة.. ثم القىء.. القيء عند الاستيقاظ من النوم، وعند التفكير في الأكل أو شمّ رائحته.. ثم ذلك الاشمئزاز غير العادي من اللحوم.. اللحم حتى لو كان صورة في مجلة أو ذكرى، وتتحرك العصارة الحمضية من معدتي متجهة لأعلى مهددة بالانفجار..»

قلت أطمئنها، وأنا أنتقي كلماتي جيدًا:

- «يا صغيرتي إن سرطان المعدة احتمال وارد، لكنّ لا تدعى التفكير فيه يفسد

حياتك، ربما لا يكون الأمر سرطانًا برغم كل شيء!»

ابتسمت، وغمغمت:

- «حقًّا يا د. (رفعت).. إن كلماتك كالبلسم على روحي.. لم أفكر في هذا الموضوع قط.. وما هي الاحتمالات الأخرى؟»

ابتسمت كي أوحي لها بالهدوء، وقلت في رقة:

- «إن القيء الصباحي يشير إلى الفشل الكلوي بشدة.. وهو - مع شحوب بشرتك - احتمال لا يمكن استبعاده.. لكنّ لا تدعيه يجعل حياتك جحيمًا... يمكننا إجراء اختبار معملي بسيط كي.....»

ضحكت طويلًا فلم أفهم سبب ضحكتها.. ثم عادت تسألني في خبث:
ـ «لا احتمالات أخرى؟»
فكرت قليلًا.. ثم قلت في ملل:
ـ «الهستيريا طبعًا وهي واردة جدًا.. خاصة بالنسبة للفتيات المحبطات عاطفيًا ـ ولا أعنيك أنت بالذات بهذا ـ وطبعًا هناك احتمال الحمل لكنه مستبعد هنا.. كلا.. لا تفكري في أورام المخ بتاتًا.. لا يوجد لديك صداع ولا ذلك القيء (القاذف) الخاص بأورام المخ.. لو كان ما لديك ورمًا بالمخ لكنت أنا حمارًا..»
عادت تضحك، وقالت:
ـ «د. (رفعت)! إنك تملأ حياتي حبورًا بكل هذه الاحتمالات البهيجة.. على كل

حال لقد فشل كل الأطباء في معرفة مصدر الخطأ.. وشربت براميل كاملة من أدوية القرحة المعدية الشبيهة بالجير، دون جدوى طبعًا.. لقد انتهت هذه الأعراض بعد ثلاثة أشهر، والسبب في ذلك هو أنها قررت أن تنتهي!»

فكرت في الأمر مليًا، وكدت أعلق ثم أشرت إليها كي تواصل قصتها..

قالت وهي تحدق في البساط:

- «بعد ستة أشهر من هذا كانت أعراض ضيق التنفس ترهقني رهقًا شديدًا.. كأن ثقلًا يجثم على صدري مانعًا حجاب الحاجز من الحركة.. وفجأة بدأت أعراض التنفس تزول لتبدأ أعراض المثانة: مئات المرّات أدخل دورة المياه، وأنهار من

البول لا تفسير لها سوى مرض البول السكري..»

- «وطبعًا لم يتضح أنك مصابة به..»

- «بالطبع.. لقد حار الأطباء في تفسير كل هذا، وحار الشيوخ مطلقوا البخور الذين استعانت بهم أمي.. إن أكثر هؤلاء نصابون على كل حال.. إن الشيخ ذا (السر الباتع) حقًّا لا يطلب عشرين جنيهًا ودجاجة أجرًا له..»

سألتها وقد بدأت أفهم ما يحدث:

- «وهل كنت تشعرين بحنين لشيءٍ ما؟ اشتياق لنوع معين من الطعام؟»

ابتسمت في خبث، وقالت:

- «تسأل عن (الوحم) يا د. (رفعت)؟ إنني عذراء لم يمسسني بشر قط..»

- «إن قصتك كلها تفسرها لفظة واحدة: الحمل.. لكنني لن أقولها..»

قالت وقد سرّها أني بدأت أفهم:

- «ثم في تلك الليلة الرهيبة، راح أعنف ألم يمزقني.. ألم جعلني أصرخ مرارًا وأعض الوسادة وأبكي.. وقد راح أبي وأمي يحاولان جعلي أهدأ.. سقتني أمي بحارًا من (الكراوية)، وهرع أبي يبحث عن جارنا في الحيّ (سيد) وهو ممرض في المستشفى العام..»

«فيما بعد وصفت أمي صراخي وآلامي بأنه كصراخ وآلام من تلد.. وقد أثار هذا حيرتها، فمن الواضح أنني لا ألد، لكنّ هذا الصياح المألوف.. هذه الوتيرة الواحدة للأنين.. لحظات الاسترخاء بين ألم وآخر..»

«وفي هذه اللحظات جاءت (أم بلبل) جارتنا.. لقد شاخت وصارت قنطارًا من الدهن لكنّها تحاملت على نفسها لتبلغنا بالمكالمة الهاتفية التي وصلتها، فهاتفها هو الهاتف الوحيد في البناية.. كانت المكالمة تحمل أخبارًا سارة: لقد أنجبت (ناهد) طفلًا!»



«ثم فى تلك الليلة الرهيبة ، راح أعنف ألم يمزقنى .. ألم
جعلنى أصرخ مرارًا وأعض الوسادة وأبكى» ..

جلست على حافة مقعدي، وقد بلغت بي الإثارة مداها، وصحت:

- «(ناهد) كانت حاملًا! لم تقولي لي هذا!»

- «لأنك لم تسألني! وهو حمل تأخر كثيرًا على كل حال..»

- «وكانت ولادتها في الوقت ذاته؟»

- «حقًّا.. لقد كانت ولادة سريعة جدًا وغير متوقعة بالنسبة لبكرية مثلها.. كنا ننتظر أن تلد بعد أسبوع، ولم نكن نرتاب في شيء حين أوينا للفراش ليلًا.. لو كانت أمي تعلم لظلت بجوارها في (حلوان)...إن الأمهات من طراز أمي يكرهن أن يضيعن مناسبة كهذه..»

قلت لها وأنا أنهض لأذرع الغرفة متوترًا:

- «وهكذا اتضح كل شيء لك..»
- «طبعًا..»
- «وهل يعلم أبواك هذا؟»
- «لا.. ولن يفهما لو أخبرتهما..»
- «و (ناهد) تعلم؟»
- «طبعًا.. لقد أمكنها أن تتذكر مئات التفاصيل الصغيرة التي لم تدرك أهميتها وقتها..»
- «وبالطبع تعلمين أعراض حملها بدقة؟»
- «بالتأكيد.. لقد شعرت بكل ما وصفته لك..»

دسست يدي في جيبي، ورحت أردد بلا كلل:

- «غريب! غريب!»

* * *

قالت (نجلاء):

- «حقًّا.. كل هذا غريب.. لكنّ الأمر يبدو طبيعيًا جدًّا حين تكون أنت صاحب هذه الأحاسيس.. ولا تكف عن التساؤل: ربما هو وهم.. ربما مصادفة.. ربما خيل إلى أنني أشعر بكل هذا.. لماذا؟ لأن أشياء كهذه لا تحدث أبدًا..»

ابتسمت بدوري، وجلست في المقعد المواجه لها لأشعرها بنوع من الحميمية وقلت لها (وإن كان أكثر الكلام لنفسي):

- «بالعكس يا صغيرتي.. إن الاتصال النفسي والمعنوي بين التوءمين لأمر معروف وقديم، وثمّة اتصال آخر أقوى

وأكثر وضوحًا هو اتصال الأم بابنها.. من منا لم يمرّ بموقف كهذا؟ تتألمين أو تحزنين ثم تعودين لأمك، فتصارحك بأنها كانت تشعر بانقباض شديد، في الوقت عينه الذي مررت فيه بتجربتك غير السارة..»

بعد هذا بأعوام قرأت في كتاب للأستاذ (أنيس منصور) أن مدير معهد (الكشف عن الكذب) في (أمريكا) حكى عن أم آلمتها بطنها بشدة، وفي المستشفى بحثوا عن التهاب في زائدتها الدوديّة فلم يجدوا.. بعد ساعات دق جرس الهاتف وكانت ابنتها تخبرها بأنها أجرت جراحة الزائدة منذ قليل، وأنها الآن بخير![1]

إن التواصل الشعوري بين جسمين ماديين منفصلين لأمر غريب؛ لكنّ من الواضح

أنه شيء قديم ومعروف لدى البشريّة..
توجد عادة عجيبة اسمها (الكوفيد) Couvade، تمارس على نطاق واسع لدى الشعوب شبه البدائيّة في (أمريكا الجنوبيّة) و(جنوب شرق آسيا)..
والملاحظ هاهنا أنها لم تمارس قط في (إفريقيا) ولا (استراليا)...
والعادة مضحكة بعض الشيء لكنّها تعكس شيئًا مما نتحدث عنه...

حين تلد الأم يدخل زوجها كوخه وحيدًا ليرقد في الفراش ويئن.. ويكف عن عمل أي شيء لمدّة أيام، ويتحاشى أي عمل عنيف، ولا يلتهم سوى الأرز بالملح!
بمعنى آخر: يقوم هو بكل ما تقوم به النفساء، بينما الأم الحقيقية غارقة في

أعمال البيت الشاقة دون لحظة راحة واحدة!
ما معنى هذا؟ ما الغرض منه؟ لا أحد يدري حقًّا..
وكالعادة - كلما تعلق الأمر بعادات البدائيين - كانت الكلمة الفصل للسير (جيمس فريزر) في كتابه الشهير (الغصن الذهبي).. يقول (فريزر) إن الأب يأكل أكلًا لينًا كي لا يؤذي معدة الوليد!
ويتأوه في الفراش كي يخدع الأرواح الشريرة، فتحسبه هو الأم وتهاجمه.. وهو - بطبيعة الحال - أقدر على مكافحتها وأقوى..
ها نحن أولاء أمام مثال فريد للتكامل الحيوي: المرأة تلد فيتأوه الرجل ويرقد في

الفراش في حالة إعياء، والرجل يأكل طعامًا سهل المضغ كي لا يتأذى ولده!

إن (الكوفيد) طقس بدائي رمزي نتحدث عنه طلبًا للطرافة، لكنّ ما الموضوع فيما يتعلق بصديقتنا (نجلاء) هذه؟

❋ ❋ ❋

الفصل الخامس: لا أهميّة له سوى الاستطراد ويمكن لسريعي الملل أن يبدءوا بالفصل السادس

كان د. (محمود) جالسًا في معمل (وظائف الأعضاء) - (الفسيولوجيا) إذا كنت تفضل ذلك - عاكفًا على تصحيح بعض أوراق طلابه.. وكنت متوترًا بصدد اللقاء، فلا شيء يثير الذعر مثل أن تلقى إنسانًا لم تره منذ ثلاثة أعوام.. لقد عاد من (ألمانيا) أخيرًا ولن يكون اللقاء سهلًا.. لا

بد من كثير من الصراخ والتهليل والقسم و.. و.....

وقد كان بالضبط، مع كثير من العناق، والضرب بقبضة اليد بين لوح الكتف، والرذاذ المتطاير من الفم. وأخيرًا استطاع أن يهدأ فأخبرته بمشكلة (نجلاء)..

ابتسم في غموض، وقال وهو يتقدمني إلى منضدة ما:

- «أنت تبحث في أكثر أسرار النفس البشريّة تعقيدًا.. لا تتوقع أن تكون لديّ إجابة جاهزة لهذا، حتى لو كنت حاصلا على جائزة (نوبل) في الطب..»

كانت هناك ثلاثة كلاب تعسة مقيدة إلى إطارات خشبية، حيث يمارسون عليها تجارب (بافلوف) الشهيرة - ذات الجرس -

رأيته يشير إلى قفص به أنثى كلب لطيفة المنظر، تحيط بها ثلاثة جراء رائعة الجمال.. كان ينتوي شيئًا ما.. وكانت عينا الكلبة قلقتين مثلي تمامًا..

قلت له مرتابًا:

- «لحظة.. لا تقل إنكم تعذبون هذه الكائنات الوديعة بدعوى العلم..»

ابتسم وهز رأسه نفيًا:

- «سنفعل لكنّ ليس الآن.. إن (توسكا) قد صارت أمًّا، وهذه مناسبة تستحق الاحتفال بها.. يمكن تأجيل التجارب بضعة أيام أخرى.. تعال يا (بسيوني)..»

جاء العامل التعس بدوره كأحد هذه الكلاب، ودون سؤال مد يده إلى داخل القفص والتقط جروًا صغيرًا لا يكف عن

التلوي والصراخ الرفيع.. حاول عض يده الخشنة لكنّ ما من عضة تستطيع اختراق هذا الجلد الثخين..

- «(محمود).. ماذا تنوي بالضبـ..»

- «ششششش! انتظر لحظة..»

ورأيته يحمل الجرو الصغير ويشير إليّ كي أتبعه إلى حجرة جانبية صغيرة، ثم أمرني أن أقف على الباب مما يتيح لي رؤية المعمل والحجرة الجانبية في الآن ذاته.. كانت (توسكا) تدور في قفصها وتصدر أنينًا رفيعًا يمزق نياط القلوب.. لقد طار صوابها فرقًا..

رأيت (محمود) يكمم الجرو الصغير بيده اليسرى، ثم بيده اليمنى يغرس دبوسًا دقيقًا

في ظهره.. تلوّى الشيء عديم الحيلة ألمًا، لكنه لم يستطع العواء..

- «(محمود) هل جننت؟ أترك هذا الـ.....»

في اللحظة التالية نظرت إلى القفص الذي كانت به (توسكا)، فرأيتها تشب على قدميها الخلفيتين، وقد تشبثت بالسلك الغليظ، وراحت تعوي دون هوادة وبلا كلل.. كانت تتألم حقًّا.. لا شك في هذا..

انتزع د. (محمود) الدبوس وغرسه في فخذ الجرو...

صرخة ألم رهيبة ليس من الجرو، بل من (توسكا) ذاتها.. وقد بلغ بها الهياج حدًا مريعًا، فلو لم تكن في قفصها لمزقتنا شر ممزّق..

- «كفى.. كفى! لقد اقتنعت! ليس من واجبك أن تذبحه كي تضمني إلى وجهة نظرك!»

قال كمن ينهي محاضرة شائقة:

- «كان هذا مثالًا بسيطًا.. كما ترى: لم تعرف الأم ما حل به، ولم تسمع له صرخة ألم، لكنّها تألمت.. أي جاهل يمكنه أن يرى أنها تألمت.. (بسيوني ي ي ي)!»

وهرع (بسيوني) يلحق برئيسه، فحمل الجرو المولول ليعيده إلى أمّه، وهو يردد عبارات التهدئة:

- «هيه! كفى! لقد عاد لك يا امرأة! سترين أننا لم نأكله بعد!»

والحق أن عيني كادتا تدمعان وأنا أرى لهفتها على رضيعها، وهي تلعقة بلسانها

في جنون كأنما تتأكد من أنها أزالت رائحتنا المقززة من على فرائه..

قال د. (محمود) وهو يغسل يديه تحت صنبور ماء:

- «إن الأمر قابل لتفسيره أدبيًا أو فلسفيًا.. إن الأطفال قطعة من روح الأم انفصلت عنها، ولهذا تشعر الروح الكبرى بآلام أجزائها.. لكنّ أعطني تفسيرًا علميًا واحدًا لا يقودك إلى المصحة العقليّة.. لا يوجد.. إن الذراع المبتورة لا تشعر بما يحدث في جسد صاحبها.. دعني أبتر ساقك ثم أعد منها شواءً ممتازًا.. يُمكنك وقتها أن تجلس معي بانتظار نضجها وتأكل منها لو أردت.. لكنّ لا تزعم لحظة أنك ستشعر بذات النار التي تحرقها..»

الحق أنّ هذه الصورة بدت لي شاذةً نوعًا: أنا و(محمود) نجلس إلى المائدة نتلمظ، بينما ساقي النحيلة موضوعةً على الفحم، وقد بدأ صبرنا ينفد وجوعنا يتزايد..
يا له من مشهد!
سألته وأنا أحرك ساقي كأنما لأتأكد من أنهما هناك:
- «وبالطبع ما ينطبق على الأمهات ينطبق على التوائم..»
جفف يده بالمنشفة، وقال:
- «نعم.. إن نظرية G.O.K تفسر كل هذه الأسرار الأزلية..»
- «وما خلاصة هذه النظرية؟»
- «GOK أي God Only Knows (الله وحده يعلم) وهي من التفسيرات

المحببة لنفر كبير من العلماء.. وبها تجد الحقيقة وراء مثلث (برمودا) وشهاب (تونجوسكا) وظاهرة التخاطر و.. و..... إنهم يسمون هذا المذهب باسم (اللا أدرية)..»

حقًّا.. GOK (سبحان الله).. لكنّ من واجبنا أن نبحث وأن نحاول أن نعلم.. علنا نقتبس جذوة من نار العلم السرمدية اللامتناهية، تبدّد عنا ظلام الكهف ليلًا..

G.O.K.. لكنّ مشكلة (نجلاء) تنتظر الحل..

❋ ❋ ❋

في الثامنة مساء توجهت إلى دارها..

كان د. (محمد شاهين) قد أعطاهم فكرة عن مقدمي، والحقيقة هي أنني لم أدر سببًا لرغبتي في زيارة دارها.. لربما شعرت بأن تواجدي في مسرح الجريمة خير من القراءة عنه في الصحف، ولربما حسبت أنني سأرى شيئًا لم أتوقعه ينير لي هذا الظلام..

لكن أهم الأسباب لقدومي هو أن (ناهد) قد وعدت بزيارة أهلها في ذلك الوقت بالذات، وهي لعمري صدفة جيدة....

تسالون عن سر حماسي للأمر؟ يا سلام! إن فضولي البشري لا يمكن إرواؤه، ثم إن هذه المغامرة بعيدة ولله الحمد عن التوابيت التي تنفتح عند منتصف الليل، والأشياء التي تعوي عندما يبزغ القمر من وراء

السحاب.. إنها مغامرة شبيهة بحل الكلمات المتقاطعة في جريدة، ولا تزيد أو تقل في خطرها عن ذلك..

كان شارعًا ضيقًا متوسط النظافة.. نظرت لشرفة الطابق الثالث فلم أجد القلة إياها، لا بد أن الأب اشتري ثلاجة بالتقسيط من معاشه.. لكني رأيت القطة المشمشية الواقفة على السور نصف غافية، وهي - القطة - من طقوس الطبقة المتوسطة المقدسة.. لا بد من واحدة يضربونها بعصا المكنسة حين تسرق اللحم أو تعوي في مواسم التكاثر...

السلم هو السلم المعهود في هذه المنازل.. بعض درجات مهشمة أو معوجة.. رائحة عطن من البئر.. شقق الجيران مفتوحة

تصاعد من بعضها رائحة عشاء يطهى، وترى كل هذا في ضوء خاب من مصباح سلم يخفى أكثر مما يظهر..

الطابق الثالث... كان الهواء يتحدى رئتي آن تبتلعه، وتسارعت دقات قلبي فالتقطت أنفاسي برهة، ستقتلنى ناطحات السحب هذه يومًا ما.. دققت الجرس فظهر لي الأب هاشًا باشًا.. كان كما وصفته تمامًا: أب.. لا أكثر ولا أقل، يرتدي جلبابًا أبيض يكشف عن كرش لا بأس به، وحافي القدمين على سبيل التبسط...

وجلست فيما يشبه قاعة الجلوس.. بحثت عن الأريكة إياها التي تغطيها سجادة الصلاة لتخفي تمزقات القماش.. آه! ها هي ذي.. ثم بحثت عن الصورة اللعينة التي

تطاردني في كل مكان، والتي تظهر فتاة تحاول أن تلثم بشفتيها فم ثعبان بين أناملها.. آه! ها هي ذي! أنا لم أخطئ طريقي إذن.. وطبعًا الجدران مطلية بالجير ذي اللون الأصفر الشاحب كالعدس.. بيت تقليدي جدًّا.. و ـ كالعادة ـ مزدحم جدًا بالأثاث أكثر مما يتحمله الأمر..

جاءت الحاجة ترحب بي، وهي كما وصفتها (نجلاء) تمامًا، وإن بدا الشك في أمري واضحًا في نبرتها ونظراتها..

«هذه المرأة تعتبرني نصابًا»

قلتها لنفسي، واحترمتها لصراحتها.. فمن أنا كي أزعم أنني أفهم ما عجز عنه كل المشايخ الذين جاءت بهم؟.. من أنا أمام كل

البخور الذي أحرقته، والأحجبة التي علقتها في صدر ابنتها؟

قال الأب وهو يضع كوب الشاي على الأريكة جواري:

- «إن (نجلاء) تتعذب بحق يا دكتور..»

كان الكوب في وضع خطير، فلو تحرك ربع بوصة لانقلب.. لهذا تركز انتباهي كله على منع هذه الكارثة.. قلت له شارد الذهن:

- «أنتم ترونها تتألم طيلة الوقت..»

- «ليس الأمر مقصورًا على الألم.. أحيانًا ننهض من على الطبلية ثم تعلن أنها جائعة.. وأحيانًا تشمئز من الطعام برغم أنها لم تذقه منذ يوم.. أحيانًا تبكي أو تضحك دون سبب..»

حقًّا إن الأم محقة..

يسهل على الرجل العادي أن يفترض أنّ هذه أعراض مس.. التباس.. تقمص من الجن.. أمّا الطبيب النفسي فسيرى حالة (هستيريا) مثيرة اللاهتمام..

جاءت (نجلاء) فحيتني في حرارة، وجلست تنتظر.. سألتها وأنا أنظر لساعتي:

- «هل مدام (ناهد) قادمة؟»

- «هكذا وعدتنا.. ولا أدري لم تأخرت..»

ثم قالت بلهجة ذات معنى:

- «يبدو أن الصداع قد جعلها تتأخر عن المجيء...»

وفهمت ما تعنيه.. لقد شعرت بصداع شديد مما جعلها تفترض أن (ناهد) تشعر

بنفس الشيء.. وهو وضع مرهق حقًا.. كيف يُمكنك تمييز الصداع الأصيل من الصداع المقلد؟.. كيف يُمكنك تمييز صداعك من صداع الآخر؟..

- «آه!.. ها هي ذي!»

قالتها وهي تنهض استجابة لدقة الجرس، وظللنا في صمت بضع دقائق، ثم دخلت (ناهد) وزوجها إلى المكان..

* * *

أما عنه فكان شبيهًا بـ (رشدي أباظة) حسب قول (نجلاء) لكنّ لو كان (رشدي أباظة) شبيهًا بـ (عبد الفتاح القصري)! إن دقة الوصف عند بعض الفتيات تصيبني

بالجنون أحيانًا.. كأن لهن عيونًا غير عيوننا..
أما عن (ناهد) فكانت تضم رضيعها - الملفوف كمومياء (حتب حرس) - إلى صدرها، ونظرت لي في عدم فهم.. الحق أنها كانت باهرة الجمال.. الشمس الساطعة التي تحرق عينيك بنورها.. لكنّها لا تبعث الارتياح في النفس، وثمّة مسحة ما من القسوة والعجرفة على وجهها.. ولعلى مخطئ في هذا، لكنّ (نجلاء) كانت بحق أكثر جاذبية وراحة للنفس..
صافحنى الزوج في ارتياب، وصافحتني هي في شك، فداعبت الرضيع في اشمئزاز، ثم جلسنا جميعًا في توتر..!

في النهاية ـ على صوت رشفات الشاي القلقة ـ قالت (نجلاء):
ـ «أعتقد ان د. (رفعت) يريد الانفراد بي أنا و(ناهد)..»
تبادل الأب والأم وزوج الابنة نظرات عدم الفهم.. خاصة أن الأخير لم يكن يعرف لي دورًا في الحياة أصلًا.. لكنّ (ناهد) اختصرت مجهود الشرح إذ سقط كوب الشاي الساخن على قدمها فأطلقت صرخة..
وفي اللحظة ذاتها صرخت (نجلاء) وهي تتحسس قدمها:
ـ «قدمي..!.. أه ه ه!».
هرعت الأم تتفحص قدم (ناهد)، وراحت تنظف ما سقط على الأرض بخرقة قماش

لا أدري من أين جاءت بها، أمّا أنا فأدركت بنظرة سريعة أن الحرق سطحي لا يستحق ضجيجًا.. الغريب أن قدم (نجلاء) بدأت تكتسي باللون الأحمر ذاته..
نظرت للزوج فرأيته ينظر لي ذات النظرة.. قلت:

- «الآن أنت تفهم سر مجيئي..»

قال وقد صرنا على موجة واحدة:

- «إن هذه الحوادث تتكرر كثيرًا جدًّا.. لم يعد بالإمكان ألا تلاحظ ذلك..»

ثم - بلهجة شبه آمرة - قال للأب والأم:

- «والآن هلما يا حماتي ويا عمي.. لم يحدث ضرر من الشاي والحمد لله.. لكنّ الدكتور يريد فحص (نجلاء) بدقة..»

امتثل الاثنان للأمر، وهما لا يفهمان.. لقد قاما بتقديمنا لبعضنا منذ دقائق والان صارت لدينا أسرار خاصة لا ينبغي أن يطلع عليها!

حين هدأت الفتاتان أخيرًا قمت كي.. أوبس! لقد حدث المحظور وطار كوب الشاي ليلون الأريكة كلها نسيت وضعه الحرج في غمرة انفعالي.

رحت أعتذر وهم يؤكدون ألا مشكلة هنالك، لكنهم - قطعًا - يتمنون أن يقطعوا عنقي في سرائرهم..

انتهى المزاح فقمت كي أعرف حقيقة هذه الظاهرة..

* * *

الفصل السادس:

لا أهميّة له سوى الاسهاب ويمكن لسريعي الملل أن يبدءوا بالفصل السابع

كانت النتيجة إيجابية حقًّا..

جربت اختبارات الإحساس المعروفة كالألم والحرارة ـ بقاعدة كوب الشاي الساخنة - والضغط العميق، وفي كلّ مرّة كان وخز معصم (نجلاء) أو إصبع قدم (ناهد) يصل دون تحريف إلى الأخرى وفي الموضع ذاته.

لقد كان جهازهما العصبي واحدًا..
ظل الزوج - واسمه (محمود) - يتابع المشهد صامتًا كالأسماك.. لكنّ النتائج كانت واضحة تمامًا لا تحتاج إلى أدنى تعليق..
بعد قليل همس بصوت كالفحيح:
- «كنت أشك في هذا منذ حادث الغسالة الكهربية.. لكني لم أعد قط متأكدًا كهذه اللحظة.. إن هذا مستحيل..»
- «الآن ترى أنه ليس مستحيلًا...»
قالت (ناهد) وهي تشد كم قميصها لتعيده إلى موضعه:
- «لا ندري متى بدأ هذا، لكننا أفقنا فجأة لنجد أننا - أنا و(نجلاء) نشعر بالأشياء ذاتها، وإنني أتساءل عن كوننا لم نلحظ هذا

في طفولتنا.. يمكن القول إن الأمر بدأ منذ عام واحد..»

قلت في حيرة:

- «ربما كان السبب هو أنكما تباعدتما فتضخم هذا الشعور ليعوض المسافة بينكما.. ربما كان السبب هو أنكما تقدمتما في العمر وصرتما أكثر قدرة على فهمٍ ما لا ينتمي إلى أحاسيسكما.. لا أدري حقًّا.. لكنّ بدء الظاهرة متأخرًا لا ينفي وجودها..»

قالت (نجلاء) بلهجة حاسمة:

- «ما هو مصيرنا؟.. هذا هو السؤال..»

قال الزوج بلهجة مستخفة:

- «أي مصير؟ لا مشكلة هنالك.. ولا خطر..»



وفى كل مرة كان وخز معصم (نجلاء) أو إصبع قدم (ناهد) يصل دون تحريف إلى الأخرى وفى الموضع ذاته . .

قاطعته وأنا أريح جسدي المنهك على الأريكة:

- «لا خطر؟ من قال هذا؟ من حق كل واحدة منهما أن تعيش حياة طبيعية، وألا تتألم حين لا يكون هناك سبب للألم.. لو أجرت واحدة منهما جراحة فما ذنب الأخرى؟.. ثم إننا لسنا خالدين على الأرض.. لو جاء قضاء الله وتوفيت واحدة..»

في ضيق غمغمت (ناهد):

- «فأل الله ولا فألك!»

شعرت بغيظ إلى هذا الحد هي حمقاء مغرورة؟ قلت في هدوء:

- «كلنا سنموت، ولن يخلد أحدنا لمجرد أنّ هذا يروق له.. لو ماتت واحدة منكما

فما مصير الأخرى؟»
كلها أسئلة بلا إجابة..
كلها أسئلة إجابتها الوحيدة هي G.O.K الشهيرة..
ربما يتكفل الزمن بمزيد من الإجابات لمعضلة كهذه..

* * *

بعد هذا بأسبوع كنت راقدًا في الفراش أقرأ، وقراءاتي في الآونة الأخيرة تدور حول القصص الرومانسية شديدة البلاهة.. ليس بسبب الحب ـ لا سمح الله - لكنّ لانها الشيء الوحيد الخالى من التوتر، وهذا من حقي بعد مغامراتي إياها في (رومانيا)..

ولم يمنعني من قراءة مجلات (ميكي) سوى بعض الحياء والخجل من كهولتي..

دق جرس الهاتف فسمعت من يخبرني في هلع أنه (عبد الجواد) والد (نجلاء).. لابد أنه يتصل من شقّة (أم بلبل) بالتأكيد.

كلا.. (نجلاء) لم تمت.. إنها تتلوى ألمًا من وطأة أسوأ مغص يمكن وصفه، ويبدو أنها لا تكف عن القيء.. ثم:

- «أرجوك أن تأتي يا دكتور!»

نظرت إلى الساعة.. إنها الثالثة بعد منتصف الليل.. وهذه هي مشكلة الرد على الهاتف.. لا أقوى على الخروج الآن، لكني كذلك لا أجرؤ على التنصل.. هناك مستشفيات كثيرة ساهرة، ينتظر بها آلاف الأطباء الشبان المتحمسين المفعمين نشاطًا

وحيوية، فما ذنبي أنا بالذات؟ لم تعد صحتي تسمح لي بالركض في الشوارع ليلًا حاملًا حقيبتي.. لكني سأفعل..

ارتديت ثيابي، وتناولت حقيبتي، وركبت السيارة منطلقًا إلى (شبرا)..

كالعادة كانت أكثر من شقّة مفتوحة، وكان هناك جيران كثيرون بالمنامة أو قميص النوم، وقد تحولت شقّة (نجلاء) الضيقة إلى سيرك.. وفي غرفة النوم كانوا يصبون شراب (الكراوية) صبًا في حلق الفتاة المولولة الباكية، فنهيتهم عن هذا وأمرتهم بالخروج..

كان الفحص سلبيًا.. لا توجد علامات على أي شيء مريب سوى تصلب عام في جدار البطن، ولم تتذكر الفتاة شيئًا غير

معتاد بصدد طعامها أو شرابها.. الكل أكل وشرب معها...

كانت الحيرة تغمرني، ثم بزغ الحل في ذهني سريعًا.. يا لي من أحمق! إنها تتصرف كالمصابات بالتهاب بريتوني دون أن تكون مصابة به حقًّا.. فما معنى هذا؟

غادرت الحجرة مسرعًا، فاستوقفني الأب سائلًا:

- «طمئني يا دكتور.. ماذا دهاها؟»

ابتسمت له في عذوبة وأنا أزيحه عن طريقي:

- «لا شيء.. مجرد ثقب في قرحة معدية.. والتهاب بريتوني!»

- «وهل هذا خطير؟»

- «إنّه يقتل.. فهل هذا خطير بما يكفي؟»

تقلص وجهه في رعب.. لقد نسيت أنه مصاب بوهن في القلب.. عسى ألا يفعلها الآن فلا وقت لديَّ.. سألني وهو يرتجف:

- «إذن.. إذن لماذا تتركها؟»

- «يا له من سؤال! طبعًا لأنقذ (ناهد)! إن الثقب في معدتها هي!»

* * *

كانت رحلة رهيبة إلى (حلوان)، أسترشد فيها بوصف الأب لدار ابنته.. وكان ضوء الفجر يخالط الظلمات، حين صعدت في الدرج قاصدًا الشقة في الطابق الثاني..

وقبل أن أقرع الباب سمعت الصراخ الذي أكد لي أنني لم أكن حمارًا حين تركت

(نجلاء) وجئت هنا انفتح الباب عن وجه زوج (ناهد)، ولم يقل حرفًا يعبر عن الدهشة أو الترحيب أو الرضا..

فقط صاح كأنما يستكمل محادثة سابقة:

- «إذن تعال لتراها.. إنها تموت!»

ودخلت وراءه لأجد ذات المشهد للجارات محمرات العيون اللواتي يتمنين لو انتهي كل هذا الضجيج ليعدن للنوم، والطفل يعوي كالذئاب على صدر واحدة منهن..

وفي غرفة النوم وجدت فوضى عارمة، وملاءات مكومة في كل صوب، بينما (ناهد) متكورة في الفراش تئن وتصرخ...

كانت جوارها أكواب (الكراوية) الخالدة وفصوص الليمون، وأكواب النعناع بالكمون.. كل واحدة من الجارات تطوعت

بإعداد شيء ما.. والخدمة التي قدمنها هي إعطاء مشروب ساخن لمريضة ذات ثقب في معدتها..

وفي هذه المرّة كان التشخيص واضحًا تمامًا، فلم أضيع وقتًا أكثر وصحت آمرًا أحدهم بأن يستدعي سيارة الإسعاف بالهاتف..

ربع ساعة أو نصف.. تأخرت السيارة ربع أو نصف ساعة حتى جاءت، وفي هذا الوقت شبعت صراخًا وخمسًا وسبابًا من (ناهد).. فهي - كأي شخصيّة مدللة غير ناضجة - تعتقد أن الألم إهانة لها، ولا تدخر جهدًا حين تتألم في أن تشعر الآخرين بالذعر والتوتر والذنب..

إنها تصرخ كأنما يتم ذبحها دون أية محاولة للسمو بالألم أو تحديه، بينما (نجلاء) كانت تئن من بين أسنانها، برغم أنها تشعر بذات القدر من الألم..

❋ ❋ ❋

وفي المستشفى - حيث أعمل - تمت الجراحة بنجاح ساحق.. إن د. (علي) أستاذ الجراحة يعرف حقًّا ما يقوم به.. لقد كانت (ناهد) تهوى تعاطي أقراص (الأسبرين) لعلاج صداعها المزمن - وكل هاته الفتيات الهستيريات مصابات بصداع مزمن - لكنّ الأسبرين أدى عمله جيدًا فأحدث قرحة في

معدتها، والقرحة استحالت ثقبًا بسهولة بالغة..
في اليوم التالي مررت على عنابر الجراحة لأراها..
كان العنبر مزدحمًا، فزوجها لم يستطع ولم يرد أن يدخلها إلى مستشفى خاص.. كانت راقدة على ظهرها وأنبوب (رايل) ما زال يخرج من أنفها.. بينما جلس الزوج جوارها يقشر أصابع الموز لها، فقط ليكتشف أنها لن تأكل قبل مدة، من ثم يدسّ إصبع الموز في فمه ويبدأ في تقشير إصبع آخر..
قال لي حين رآني، بفم مليء بالموز:
- «إنها بخير.. والفضل لك.. لقد أضعنا ثلاث ساعات كاملة في هراء الجارات

ونصائح الأصدقاء..»
تناولت إصبع موز بدوري، فبدأت تقشيره وقلت:
- «لا شافي سوى الله.. أعتقد أن المغص قد زال عن (نجلاء)؟..»
- «حقًّا زال.. لكنّها تشعر بألم في جدار بطنها.. على حد كلامها تشعر كأن هناك جرحًا مخيطًا..!»
- «هذا لا يثير دهشتي الآن...»..
ودسست إصبع الموز في فمي مفكرًا في ما إذا كان من الوقاحة أن أمد يدي لأسلخ إصبعًا آخر. لكنه قدّم إليّ إصبعًا آخر ليوفر عليّ العناء، ثم كوّر ورقة الجريدة على ما تبقى منه، ليغلق باب الكرم..

هنا لاحظت أنه ينظر إلى الوراء في ارتياب..

نظرت بدوري للوراء، فوجدت شابًا في العقد الثالث من العمر يقف على مسافة مترين من الفراش مترددًا بين إقدام وإحجام...

وبوثبتين كان قد اتخذ قراره.. انحنى ومد يده يصافح (ناهد) في حرارة، وغمغم بشيء من ارتباك:

- «حمدًا لله على سلامتك يا (ناهد).. يبدو أنك على ما يرام..»

ثم بثلاث وثبات كان قد ابتعد..

يمكنني هنا أن ألخص غرابة الموقف كما يلي:

١ ـ هو لم يصافح الزوج ولم يفه أمامه ببنت شفة.
٢ - مصافحته طالت وقتًا أكثر مما يجب.. حتى لو كانت (ناهد) رجلًا لما احتاج لكل هذا الوقت ليصافحها.
٣ - رد فعلها هو إلى الارتباك والحيرة والحرج أقرب.. لا توجد أية حرارة في استجابتها..
٤ ـ لم أرتح لمظهر الفتى.. له شارب رفيع مما يحبّ الأوغاد أن يضعوه فوق شفاههم العليا، وله عينان ضيقتان آثمتان كذوبان فيهما غباء ودنس.. ثم شعره الطويل المتدلي على كتفيه كما تقضي الموضة في أوائل السبعينات..

٥ - من الواضح أنه في حالة ماديّة أدنى من متوسطة.. ثيابه تشي بذلك، وكذا عدم إحضاره لشيء معه، خاصة علبة الشيكولاته الأبدية التي هي قانون المرض غير المكتوب..

٦ - واضح كذلك أن الزوج لم يحبّ رؤيته قط، لقد بدا على وجهه ذات التعبير الذي يبدو على وجهك لو وجدت بورصًا ساقطًا في طبق الحساء على مائدتك! هو التعبير ذاته بلا مبالغة.

٧ - من الواضح أنني قوي الملاحظة حقًّا!

بعد انصراف الفتى نظر لها الزوج مليًا.. ثم همس بصوت كالفحيح:

ـ «كيف عرف هذا الحيوان بوجودك هنا؟»

* * *

الفصل السابع:

لا أهميّة له سوى الثرثرة ويمكن لسريعي الملل أن يبدءوا بالفصل الثامن

وجدت أن وقت الانسحاب قد حان.. فنهضت مهنئًا بشفائها، شاكرًا لزوجها ما قدمه لي من موز.. ولم أدر قط أنّ هذا اللقاء كان ذا أهميّة كبرى في سياق هذه القصة..

* * *

- «لقد زارها (صلاح) في المستشفي ثلاث مرات!»
- «تبًّا له من وقح!»
- «لو عرف زوجها لفجّر رأسه!»
- «ماذا يريد منها؟»
- «لقد تزوجت وأنجبت فماذا بعد؟ هل يجب أن تموت أيضًا؟»

كنت جالسًا في شقّة (نجلاء) أصغي لهذه المحاورة اللطيفة الواقعة بين أربعة أطراف ـ فقد كان د. (محمد شاهين) معنا ـ وأنا أتظاهر بالصمم، وبأنني منهمك في تقشير (البونبون) اللزج الملتصق بورقته..

في النهاية شعرت بأن عدم تدخلي فيما لا يعنيني قد صار أقرب إلى الوقاحة وقلة

الذوق.. التهذيب الحقيقي هنا هو أن أتدخل فيما لا ناقة لي فيه ولا جمل..

سألت دون اهتمام حقيقى:

- «أ.. معذرة.. ولكن من هو (صلاح) هذا؟»

* * *

(صلاح)؟ (صلاح)؟ من الذي لا يعرف (صلاح) في (شبرا) كلها؟

(صلاح) الظريف المرح.. (صلاح) القوي.. (صلاح) الوغد.. (صلاح) الثعلب.. (صلاح) الفارس المغوار الذي لا يشق له غبار..

رسب في الشهادة الثانوية ثلاث مرات، وبعدها كف عن المجادلة ولا أحد يعرف ما يفعله بالضبط.. لكن جيبه دومًا مليء بالنقود التي - على الأرجح - لم يسرقها..

هل تبحث عن سمسار نصاب للسيارات المستعملة؟ (صلاح) يصلح دومًا.. هل تريد أن تضرب أحدًا؟ (صلاح) يصلح.. هل تريد أية ورقة رسمية مزورة؟ (صلاح) سيأتيك بها مقابل مبلغ مالي طبعًا.. فلو أنهم يسمحون بكتابة كلمة (أفاق) في خانة (المهنة) بالبطاقة الشخصية لوجدتها في بطاقة (صلاح) حتمًا..

كانت (ناهد) في المدرسة الثانوية وقتها، مخلوقة فاتنة تعرف أنها فاتنة.. وكان لابد

أن يحوم (صلاح) حولها وقد استنتج أنها ليست حصنًا منيعًا كتوءمتها (نجلاء).. لحسن الحظ أن أجمل الأختين هي أقلهما التزامًا وصرامة..

وشخصيته (صلاح) هذه جذابة للنساء دومًا.. في البدء تهابه الفتاة ثم تجده طريفًا ثم تجده جذّابًا.. وكان على (صلاح) أن يحوم حول (ناهد) مرارًا في أثناء ذهابها أو عودتها من المدرسة، وهو يُلقي عبارات غزل ذكية مازحة لا تملك الفتاة أمامها أن تكتم ابتسامة..

ثم راح يدور حولها بالدراجة البخارية التي اقترضها من (سعيد) صديقه ويصر على تسميتها (مكنة)، ويأتي بحركات

بهلوانية من التي لا تراها إلا في السيرك، فكانت تبتسم أكثر فأكثر.
وأخيرًا ضحكت!
هنا نجد ظاهرة غير مسبوقة.. إن أمثال (صلاح) هذا غير قادرين على الحب أبدًا، بل هم يطاردون المرأة مدفوعين بنوع من غريزة الصياد..
مجرد قلب جديد يضاف إلى نادي القلوب المحطمة.. ورأس وعل جديد يعلقه فوق المدفأة مزهوًا..
لكن (صلاح) أحب (ناهد) حقًّا، ولم يعد يرغب في شيء سواها.. من الغريب أنه بدأ يستقيم، وبدأ يبحث عن عمل منتظم شريف.. وفي أعماقه السوداء أشرق ضوء خافت: الحاجة إلى زوجة..

لكن وعود (صلاح) نوع من الدخان الأزرق لا يدوم طويلًا.. يعد في حماسة وينسى وعده في حماسة أكبر..

سرعان ما كان يعود لحياة الأفاق.. فهي أسهل وأكثر ربحًا.. ثم إنها تناسب طباعة المتقلبة الثعلبية المتآمرة..

لكنه ظل مولعًا بـ (ناهد).. ولعل هذا كان الشيء الوحيد الصادق في حياته عديمة النفع بأسرها..

وفي ليلة سوداء اصطحب أباه العجوز - خفير سابق في مصنع - وذهب ليخطبها من أبيها الأستاذ (عبد الجواد)..

كلا لم يكن أحمق ولم يتحامق.. كانت نظريته تستند إلى دعامات قوية.. فالفتاة تميل إليه وهذا واضح.. كل الفتيات بهمن

به على كل حال.. ثم إن الفتاة رسبت في الشهادة الثانوية وهذا يجعل سعرها أقل حتمًا. أضف لهذا أنه كان ذا دخل مرتفع، صحيح أن أحدًا - ولا هو نفسه - لم يستطع أن يحدد مصدر هذا الدخل بالضبط.. لكنّ المال هو المال.

وكان هذا في عهد الموظفين المحترمين.. حين كان الموظف القادم من الطبقة المتوسطة يعتلي سلم المجتمع قبل أن يهوي اليوم إلى أسفله.. لهذا بدا طلب (صلاح) شديد الوقاحة في نظر الأب، وكان رفضه باتًا وقاسيًا:

- «إن ابنتي لن تتزوج رجلًا لا أعرف ما هو عمله بالضبط.. ولو سأل أحدهم ابنها عن وظيفة أبيه فماذا يقول؟»

أضف لهذا أن الفتى كان يتمتع بأسوأ سمعة في الحي كله.. ولم يكن أحد يثق به إلا كما يثق بثعبان.. والثعابين ليست أفضل العرسان لابنتك بالتأكيد..

كان الرفض باتًا.. لكنّ (صلاح) لم يستسلم قط، ولم يصدّق أن (ناهد) لن تكون له..

* * *

وهنا تتحرك الرومانسية في أفظع صورها..

رومانسية قصص (ماجدولين) و(غادة الكاميليا) وكل ما لم يقرأه (صلاح) لكنه

يتصرّف على أساسه.. وقد تعلم الدرس الأول من هذه القصص:

يجب أن تكون حبيبتك لك وإلا لن تكون لآخر!

وبالفعل تصرف بتهور مبالغ فيه، فاستوقفها في أثناء عودتها من المدرسة، وانفعل لدرجة أنه أمسك بمعصمها بقوّة، صارخًا في هستيريا:

ـ «أنا لا أرفض! أنا لا أرفض!»

حاولت أن تتملص في نعومة دون جدوى، من ثم بدأت تصرخ بدورها واحتشد المارَّة وكانت فضيحة لا بأس بها..

وهكذا ذهب الأب إلى المخفر حيث أبلغ عن الحادث، واستدعوا (صلاح) ليوقع

على إقرار بعدم التعرض للابنة..

وقع (صلاح) طبعًا.. لكنّ ما أهميّة توقيع كهذا؟ إن (صلاح) يحمل بذرة مخالفة القوانين في أحشائه، وكلما خالف قانونًا شعر بأنه أحسن حالًا.. لهذا لم يكن التعهد يساوي أكثر من الورق الذي كتب عليه، وأدرك الجميع أنه لن يتوقف..

خطبت (ناهد) بعد هذا لمهندسها الهمام، وظل الجميع يرتجف هلعًا من انتقام (صلاح) لكنه لم يظهر.. بعد هذا أقيم الزفاف في حفل متواضع في شقّة د. (محمد شاهين) حتى لا يشعر (صلاح)، وقد حبسوا أنفاسهم فرقًا، ولم يكن أحد ليبدي دهشة لو اقتحم (صلاح) المكان حاملًا مسدسًا ليفرغه في صدر العروسين... إن هذا يحدث دائمًا في الأفلام العربيّة، ومن الغريب أنه فات على العاشق المكلوم اياه..

لكن (صلاح) لم يكن هنا.. كان قد سافر إلى (فرنسا) ليجمع العنب في هوجة سفر الشباب المصري إلى أوروبا في أوائل



حاولت أن تتملص فى نعومة دون جدوى ، من ثَمَّ بدأت تصرخ بدورها ، واحتشد المارة وكانت فضيحة لا بأس بها . .

السبعينات.. وهي رحلة لن تسفر عن شيء في الغالب سوى بضع كلمات فرنسية يتشدق بها، وقميصين وسروالين على أحدث موضة، وعلبة سجائر (جولواز) يحملها في يده لأن السروال ضيق، ويضعها دومًا حيث يراها الجميع..

اختفى (صلاح) أعوامًا عديدة من العالم اليومي، ومن مخاوف الأسرة، وبدا أن الحياة تتحسن..

كان ذلك حين بدأت أعراض (التماثل الشعوري) هذه، وظهر في حياة الأسرة شيء أصلع نحيل يدعونه بـ (رفعت إسماعيل).. وهذا شيء مريع، لكنه ليس أفظع من (صلاح) على كل حال..

* * *

الآن يظهر (صلاح) من جديد...

ويظهر في المستشفى ليهنئ (ناهد) على سلامتها أمام زوجها، الذي لم يتبين شخصيته إلا بعد رحيله..

إن الوغد لم ينس شيئًا، ولم يتعلم شيئًا..

كان يحسب أن ما جمعه من مال في (فرنسا) - وهو في الغالب قليل جدًا - يصلح لتغيير نظرة الأب له..

لكنه وجد فتاته قد تزوجت ورزقت طفلًا..

الشخصيات الناضجة تعرف كيف تقبل الحقائق ولا تتحدى المجتمع، لكنّ من الأحمق الذي يصف (صلاح) بالنضج؟

وفي الآونة الأخيرة كف (صلاح) عن الظهور في (شبرا).. لم يعد أحد يراه.. لكنّ وجهًا جديدًا مثيرًا للتساؤلات ظهر في (حلوان)..

وبدا واضحًا أن الفتى لم ولن ينسى..

إنه يبحث عن المتاعب بالمجهر الإلكتروني..

ولم تكن (ناهد) تعرف هذا حين خرجت مع طفلها إلى السوق...

* * *

الفصل الثامن:

لا أهميّة له سوى
ملء السجادة
ويمكن لسريعي
الملل البدء
بالفصل التاسع

كنت قد فرغت من عملي فجلست أطالع بعض المنشورات الطبية التي وصلتني إلى الكلية، حين سمعت صوت الخطوات المألوف على الباب وقرعات خجولًا تطلب الإذن بالدخول..

رفعت عيني لأرى (نجلاء)، وقد بدا لي كأن قطار بضاعة قد مر فوقها مرّتين..

كان وجهها مليئًا بالإعياء والإرهاق.. وهناك كدمات في كل مكان خاصة على خديها.. ومن خطواتها أدركت أنها تعرج قليلًا..

لم أجد ما أقول، وبدا لي من الابتذال أن أسألها عمّا هنالك.. سارعت بإحضار مقعد لها، وربت على كتفها مطمئنًا.. ثم سألت:

- «أنت أم هي؟»

لقد صار هذا السؤال تقليدًا في الآونة الأخيرة.. لا يمكن أن تعرف ما لم تسأل.. قالت وهي تلتقط أنفاسها:

- «هي.. لقد حدث هذا في التاسعة صباحًا.. تلقيت - وأنا في المكتب - عشرات الصفعات والركلات.. الطريف أن أحدًا لم يفعل هذا بي..

وأدركت على الفور نوع التجربة التي تتعرض لها (ناهد) الآن.. غادرت المكتب مسرعة وركبت - بمظهرى العجيب - إلى (حلوان).. وهناك عرفت أن (صلاح) هاجم (ناهد) وهي في السوق.. بعد محاورة قصيرة انهال عليها صفعًا وركلًا كالمجانين، وكاد يفتك بها لو لم يتدخل الناس الذين أصابهم الذهول لثوان.. وبالطبع كادوا يفتكون به بدوره.. إنه في المخفر الآن.. وهي في أسوأ حال..»

شعرت بذهول عميق..

أي بلطجي هذا؟ أي حيوان؟

إن من يضرب أمًّا تحمل طفلها يستحق أن يتم تمزيقه إلى قطع ورميه للتماسيح.. لماذا لم تعد في مصر تماسيح؟

رشفت جرعة من كوب الماء الذي أمامي.. لقد جعل الغضب لساني كحطبة، ثم قلت لها:

- «إنّه قد جن تمامًا.. والأدهى أنه عاقب اثنتين لا واحدة!..»

ابتسمت في حزن.. فلم يكن هناك ما يُقال..

قلت لها بعد صمت طال:

- «لماذا جئت اليوم؟ أعني إنني أرحب بك دومًا، ولكن أية ريح طيبة ألقت بك ها هنا؟ ألتخبريني بكل هذا؟»

قالت في شرود وهي تتحسس كدمة تحت عينها اليسرى:

- «أقول إنني لم أعد أطيق هذا الوضع يا د. (رفعت).. إنني أفرح فلا أدري إن كنت

فرحة حقًّا.. أحزن فلا أدري إن كنت حزينة حقًّا أم هي.. حتى الجوع لم أعد واثقة من أنّه جوعي.. لقد فازت (ناهد) بكل شيء.. واليوم لم تعد مشاعري ذاتها من حقي..»

- «إنها تعاني الشيء ذاته على كل حال، ولا أظنها سعيدة..»

- «لكنّها حمقاء!»

قالتها في اشمئزاز، وأردفت:

- «حمقاء! والحمقى يجلبون على أنفسهم الوبال دائمًا.. أنا لا أضرب ولا أصفع.. لا يوجد شيء من المشاعر والأحاسيس الكريهة فيما أنقله لها.. أمّا هي فتجعلني أدفع ثمن حماقاتها!»

نظرت لها مليًا.. ثم في كياسة غمغمت:

- «بالعكس.. أنت تنقلين لها شعورًا كريهًا طيلة الوقت..»
- «وما هو؟»
- «الغيرة!»

* * *

زجوا بالفتى في السجن لمدّة ثلاثة أشهر، وهي فترة أشبه بإجازة الصيف بالنسبة للفتاتين وأسرتهما.. سيخرج حتمًا... لكنّ ربما يغدو أكثر تهذيبًا.. حين يحبّ من لا يستطيع الحب، يغدو إقناعه بنسيان الأمر ضربًا من المستحيل..

اندمجت في حياتي الطبيعية الهادئة، فكان لي لقاء مع طفل ممسوس ربما أحكي لكم

قصته فيما بعد، وتعرفت كائنًا شيطانيًا يدعى (كراسوس) ربما يسعدني الحظ بان أقدمه لكم.. ذكروني فيما بعد بهذين.. هه؟

أقول إنني اندمجت في هذه الحكايات البهيجة التي تتكون منها حياتي، حين جاءتني (ناهد) ذات صباح في الكلية.. وهي المرّة الأولى التي تفعل فيها ذلك.. كانت كالعادة جميلة جدًا سمجة كحيوان (الأرماديللو).. لكني رحبت بها، وأنا أستعيد القصة إلى ذاكرتي من جديد...

قالت في شيء من الضيق:

- «تعبت كثيرًا حتى وجدت هذا المكتب»

اعتذرت لها بشدة عن عدم استطاعتى وضع مكتبي في منتصف ميدان (التحرير)، فمن العسير أن يسمحوا لي

بذلك، ثم سألتها في غلظة عن سبب تشريفها لي..

قالت وهي تضع ساقًا على ساق، وتلوك قطعة لادن في عصبية:

- «إن الجروح تملأ جسدي، ورأيت أن أخذ رأيك..»

ثم مدت ساعدها لتريني معصمها الذي امتلأ بالكدمات..

قلت وأنا أخلع عويناتي لأضع عوينات القراءة:

- «يبدو أن.. هل قابلت (صلاح) مؤخرًا؟!»

تنهدت في صبر كأنما لا تصدق أي حمار هذا، وقالت:

- «(صلاح) في السجن.. ألم تفهم هذا من (نجلاء)؟»
- «إذن ما الذي؟.. هذه كدمات يا بنيتي وليست مرضًا جلديًا.. لا بد من إصابة ما..»
- «هذا هو ما أقوله.. إصابة ما، وهي لم تحدث لي..»
- «الأمر سهل إذن.. إن كل هذا حدث لـ (نجلاء).. أحسبنا تجاوزنا مرحلة الاندهاش لأمور كهذه..»
- «لكنّها تنكر!»
قالتها في كراهية.. في مقت.. وازدادت سرعة فكيها في مضغ قطعة اللادن مما جعل أصوات انفجارات عالية تدوي..

بدأت أهتم بالأمر، فانحنيت واستبدلت بعوينات القراءة عوينات المسافات لأراها أوضح، وسألتها:

- «تريدين القول إنها لم تصب بكدمات؟»

قالت في عنف:

- «نعم.. أو بمعنى أدق: لم يصبها أحد بها.. إن هناك في جسدي آثار كدمات وحروق كلها في أماكن غير ظاهرة.. وهذا معناه..»

اللعنة!.. إن الأمر يزداد تعقيدًا..

إن الأطباء يعرفون مرضًا نفسيًا شهيرًا هو (التمزيق الذاتى) وكالعادة يطلقون عليه اسمًا عسيرًا مثل autoniutilation وهو منتشر إلى حدٍ ما بين الإناث، وهناك

مرض آخر هو انتزاع الشعر الذاتي، واسمه اللاتيني المرعب في حد ذاته هو Trichotellomania.. وهو ـ كالعادة ـ منتشر بين الإناث، وكل المريضات به ينكرن أنهن يؤذين شعورهن أو يدمين أجسادهن.. وبالطبع تكون أكثر الإصابات في مواضع تخفيها الثياب حتى لا يتعرضن لأسئلة فضولية، وكثيرًا ما حيرت حالات كهذه أطباء الأمراض الجلدية الذين يحسبونها مرضًا خطيرًا لا اسم له..

لماذا يؤذي الإنسان جسده الخاص؟ إنّه نوع من عقاب الذات أو استعذاب الألم يدل على خلل نفسي مريع..

لماذا ـ إذن - تؤذي (نجلاء) نفسها؟ إجابة سهلة جدًا: لأن هذا هو السبيل الوحيد

لإيذاء (ناهد)! (ناهد) التي ظل لها طعم مرير في فم (نجلاء) طيلة هذه الأعوام.. (ناهد) التي ظفرت بكل شيء دون أن تستحقه.. إن (ناهد) يجب أن تنال نصيبها من الأذى..

لقد استنتجت (ناهد) الأمر بسهولة ودون عناء، وفي غضب قالت لي:

- «هذه الحمقاء مجنونة تمامًا.. يجب أن تمنعوها، وإلا لا أضمن لحظة ما ستفعله كي تؤذيني.. ربما تلقي بنفسها أمام قطار أو تشعل في ثيابها النار.. تصوّر هذا! إنها تحقد عليّ منذ عرفت معنى الحقد..»

نظرت لها صامتًا...

في الحقيقة لم يكن كل ما قالته هراء إلى هذا الحد...

لكنّ هل تفعل (نجلاء) ذلك حقًّا؟

* * *

صاحت (نجلاء):
- «أقسم بالله العظيم إن هذا لم يحدث!»
ثم نهضت مندفعة إلى رف المكتبة على الجدار:
- «هات لي مصحفًا كي أقسم عليه..!»
نهضت فأعدت المصحف إلى موضعه على الرف، وقلت لها:
- «لا أحب أن تقسمي في أمور تحتمل الكذب أو الخطأ.. كل هواة (تمزيق الذات) ينكرون - أو لا يعرفون - أنهم يفعلون ذلك..»

قالت وهي تشير إلى ذراعها المليء بالكدمات:

- «هي التي فعلت هذا بنفسها وبي.. أنت لا تعرف (ناهد).. إنها الأنانية المجسدة والشر المطلَق.. حتى إنني لأبكي كل ليلة حين أتذكر أنّ هذه هي أختي التوءم..»

جلست إلى مكتبي، وخلعت عويناتي ورحت أعتصر عيني بأناملى منهكًا، ثم قلت لها:

- «اسمعي يا (نجلاء).. إن علاقتكما المعقدة هذه تحتاج إلى كاتب من وزن (دستويفسكي) الرهيب كي يدرسها.. وبما إنّه مات فإنني أقترح أن تريا محللًا نفسيًا بارعًا.. أعرف واحدًا هو د. (سامي) لكنه يعيش في (الإسكندرية).. ربما لو..»

وفتحت عيني فوجدتها قد رحلت..

*　*　*

الفصل التاسع:

لا أهميّة له سوى التطويل ويمكن لسريعي الملل أن يبدءوا بالفصل العاشر

كان (صلاح) هِلْجامة..

و (هلجامة) هي لفظة عربية منسية لكنّها فصيحة جدًا، وتعبر باختصار عن الشخص الكذوب الخائن الجبان اللص المنافق القذر البخيل القاسي الواشي المدعي المغرور الجاهل الـ... باختصار

(هلجامة) تعنى من حوى كل نقيصة وخلا من كل فضيلة..

ولأن (صلاح) هلجامة، فقد غادر السجن لكنه لم يغادر عالمه المليء بالقسوة والاستخفاف بمشاعر الآخرين..

فقط قرر أن ينتظر حتى تسنح فرصة الانتقام...

* * *

كانت المشكلة هي أن (ناهد) لم تعد تغادر الدار، فإن غادرتها كان زوجها معها في كل خطوة.. وحين يذهب زوجها للعمل كانت (ناهد) تغلق باب الشقة بإحكام ولا تخرج أبدًا أو تنظر من نافذة..

ومن حين لآخر كان يرى أباها يدخل البناية، أو خالها، أو شقيق زوجها.. لقد تعلم هؤلاء ألا يتركوا (ناهد) وحدها أكثر من بضع ساعات كل يوم..

تدريجيًا نسى (صلاح)- وهو يجلس في المقهى يدخن الشيشة ويشرب الشاي (الكشري) - أن عليه أن ينتقم.. صار الأمر أقرب إلى لغز مسل يتحدى الذكاء من ألغاز مجلة ـ كيف يؤذي أميرة تحيا في حصن يحيط به الفرسان الأشداء في كل صوب؟»

* * *

في ذلك الصباح المشمس جلس في المقهى يراقب مدخل البناية على الجانب الآخر من الشارع كدأبه.. كان قد وضع عوينات سوداء وأطال لحيته في السجن، كما قصر من شعر رأسه.. لكنه ـ لمزيد من الضمان - كان يمسك بجريدة يخفي بها وجهه كلما شعر أنّ هناك من ينظر في اتجاهه...

رشف رشفة من الشاي، وسحب نفسين من الدخان:

الآن يستطيع أن يرى الأب والتوءم الآخر ـ القبيحة - يغادران المبنى، لكنهما لم يكونا وحيدين، الآن يرى (ناهد) وطفلها على كتفها، وزوجها ذا العينين الحولاوين..

يبدو أن الأسرة كلها ذاهبة النزهة، أو ربما لزيارة أم الزوج أو شيء من هذا القبيل..

بحركة غريزية رفع الجريدة ليخفي وجهه، ودقق النظر أكثر..

كانوا يعبرون الشارع وينظرون في اتجاه السيارات، حين برز صبي على دراجة هوائية.. كان مندفعًا أكثر من اللازم فاصطدم بـ (نجلاء) بقوّة لا بأس بها، وهي لم تره لأنّه كان يسير في عكس الاتجاه.. سقطت أرضًا وصرخت صرخة قصيرة..

هنا لاحظ ظاهرة غريبة بعض الشيء..

لماذا صرخت (ناهد) بدورها؟ ولماذا مدت يدها تتحسس كتفها؟ إنّه لم ير شيئًا يضربها، ومن المؤكد أنها تتألم حقًّا..

غريب هذا! ربما آلم الرضيع كتفها بشكل ما.. ولكن يا لها من مصادفة!

استطاع أن يرى الزوج يوبخ الصبي، ثم يُطلق سراحه.. بينما الأب ينحني على (نجلاء) ليرى ما دهاها حيث جلست على الإفريز تئن.. هو ذا يمد يده إليَّ كاحلها ليتفحصه.. بدا ألم شديد على ملامحها..

وانطلقت عينا (صلاح) كالرصاصة لتريا ما أصاب (ناهد).. إنها تمسك بكاحلها وعلى وجهها أعتى آيات الألم.. لقد أرغمها الألم على الجلوس بدورها على الأرض والطفل على كتفها، وبيدها الحرة راحت تدلك ساقها عند المفصل الملتوي..

ما معنى هذا كله؟

كان ذكيًا، وكان يتمتع بغريزة الذئاب.. لهذا بدأ يفهم ما يحدث، لكنه لم يصدقه.. هذا هراء.. إن المصادفات..

ولم يكن يتمتع بعقل علمي منظم، لكنه وضع منهاجًا علميًا لا بأس به لإجراء تجربة كانت ستروق لـ (ديكارت) بالتأكيد...

نادى غلامًا مر به في المقهى.. غلامًا من هؤلاء الحفاة الذين يمشون حاملين قطعة من الورق المقوى صامتين كالقبور.. وهي رسالة صامتة لمن يبغي تلميع حذائه..

في كف الغلام دسّ عشرة قروش - وهو مبلغ كان فادحًا وقتها - وفي أذنه همس ببضع كلمات، شفعها بصفعة على ظهره وصيحة:

- «حمامة يا له! أسرع قبل أن يبتعدوا!»
ولم يكذب الغلام خبرًا..
عبر الشارع ركضًا، ثم مضى يهرول فوق الإفريز حتى وصل إلى (ناهد) التي كانت قد استطاعت التحامل على نفسها فالوقوف..
وفجأة - قبل أن تفهم ما حدث - كان الغلام قد داس على قدمها بقدمه الخشنة الغليظة،، وواصل هرولته مبتعدًا..
من جديد تأوهت وقالت شيئًا ما عن تلك البهائم التي لا ترى أمامها، وفي اللحظة ذاتها تأوهت (نجلاء) من جديد ونظرت إلى قدمها..
ثم إنها - (نجلاء) - تحاملت على نفسها لتنهض مستندة إلى الأب وزوج شقيقتها،

وببطء بدأت تمشي.. ثمّة عرج بسيط لكنّها تمشي على كل حال.. وراح الأربعة يبتعدون عن المشهد..

وفي مقعده حيث جلس يرمق كل هذا، والجريدة تداري وجهه نوعًا، أدرك (صلاح) أن يومه لم يضع سدى...

إن لهذا الذي رآه معنى خطيرًا..

إن نفعه لمؤكد، وإن كان تفسيره عسيرًا على الأفهام.. لا يهم!

الخاسرون فقط هم من يبالون بالتفسيرات..

* * *

بالطبع لم أعرف شيئًا من كل هذا، لأن (نجلاء) و(ناهد) قررنا أن تحرماني من أسرارهما اللطيفة، ومن كوني المستشار الصحي المجانى لهما.. لابد أنني أبديت تبرمًا واضحًا في المرّة الأخيرة..

وهكذا غرقت في التفاصيل الهادئة لحياتي.. مثل الوباء الغامض الذي بدأ يحيل القوم إلى مسوخ في تلك القرية الفرنسية، والمومياء التي تغير مكانها ليلًا في المتحف المصري.. إلخ.. ذكروني أن أحكي عن هذه القطع الرائعة في مناسبة أخرى..

أما الآن فيمكن القول إن شهرين مرّا دون أن أسمع خبرًا عن تلك الأسرة، وأكون



من جديد تأوهت وقالت شيئًا ما عن تلك البهائم التى لا ترى أمامها ، وفى اللحظة ذاتها تأوهت (نجلاء) من جديد ونظرت إلى قدمها . .

كاذبًا لو قلت إن هذا ضايقني.
إنني أمقت العلاقات النفسية المعقدة وأشمئز منها، لهذا لا أرتاح كثيرًا للكراهية المتبادلة بين الشقيقتين، تلك الكراهية التي تحمل قدرًا لا بأس به من الحسد والغيرة، وتتوارى وراء ابتسامات معسولة.. إن (نجلاء) تغار من جمال (ناهد) و(ناهد) تغار من عقل (نجلاء)، فهى - برغم جمالها الصارخ - تشعر بأنها لم تزد على عصفور جميل الشكل فارغ الرأس، اقتناه زوجها في داره.. ولعلها كانت تتمنى حقًّا لو ذهبت إلى الجامعة، وحملت كراس محاضرات، وأمضت ساعات المساء في استذكار كئيب.. يومًا ما ستكون (نجلاء) محامية وسيطلقون عليها لقب (الأستاذة)،

بينما يذوي جمال (ناهد) فلا يبقى منه سوى عجوز جاهلة خاوية العقل..

لم أشعر - وأنت توافقني - باستمتاع كبير إذ أتورط في كل هذه المشاعر السوداء القادمة من أغوار روايات (دستويفسكي)، كما لم أتحمس كثيرًا لموضوع (صلاح) الذي يصفع الأمهات في الأسواق، ويزور حبيبته أمام زوجها فلا يخفى حبّه لحظة.. كل هذا يثير هلعي ويجعلني أنكمش أكثر فأكثر.. واتذكر كلمات المطرب الإنجليزي (كات ستيفنز):

- «آه يا صغيرتي إنّه لعالم متوحش..

من العسير أن تحتفظي بابتسامتك فيه..

فإذا صممت على الرحيل تذكري أن تأخذي حذرك..

فهو عالم متوحش لا يرحم.. وأنت مجرد طفلة..»

لقد قالها (كات ستيفنز) ثم اعتنق الإسلام، وصار اسمه الشيخ (يوسف إسلام)؛ من أهم قادة الدعوة الدينية في (لندن).. ويبدو أنه لم يجد مفرًا من هذا العالم المتوحش إلا في الدين[2]..

حقًا إنّه لعالم متوحش يا صغيرتي..

❋ ❋ ❋

في ذلك اليوم فتحت باب شقتي في العاشرة مساء، لأسمع جرس الهاتف لا يكف عن العواء والصراخ...

غريب أن اللهفة والذعر يظهران في جرس الهاتف أحيانًا..
هرعت لأرد في الظلام، وطبعًا اصطدمت بمقعدين حطما ساقي، كما سقطت المزهرية كعادتها منذ عشر سنوات، وبرغم هذا لا تتهشم أبدًا لتريحني منها..
أخيرا وجدت السماعة فرفعتها، وبحنق صحت:
ـ «ماذا تريد؟»
- «أنا د. (محمد) يا (رفعت).. د. (محمد شاهين)..»
- «هذا لم يجب على سؤالي بعد..»
- «إن (نجلاء) لم تعد من المكتب بعد..»

شرحت له في صبر أنني لست مسئولًا عن مواعيد ذهابها وإيابها، إلا إذا كنت زوجها، أو سائق سيارتها الخاصّة، أو سائق حافلة المدرسة، أو ـ لا سمح الله ـ كان لي سجل مشهود لخطف الفتيات..

- «لكنّها مريضتك»

ـ «ما دامت ليست مصابة بسرطان الدم، فالأمر لا يخصني»

قال في رصانة من يحاول تمالك أعصابه كي لا ينفجر فيّ:

- «(رفعت).. أنا أحدثك كصديق.. هل تجد من الطبيعي أن تتأخر ابنة أختك حتى العاشرة مساء، وهي لم تتأخر قط بعد الثالثة في أي يوم؟ وهم لا يعرفون شيئًا عنها في المكتب».

ـ «كلهن يفعلن ذلك، ثم يعدن للدار دون أن يمتن، وهي شجاعة أدبية حقيقيّة.. لو كنت مكانها لَمُت».
ثم ـ قبل أن ينفجر فيّ - صحت:
- «اسمع.. هل طلبتم صديقاتها؟»
- «كلهن في ديارهن معززات مكرمات»
- «وهل لها خياط أو مصفف شعر؟ لا بد من واحد..»
- «إلا هي.. إنها تفعل كل هذا في البيت..»
- «وماذا عن الأقسام والمستشفيات؟»
ـ «لقد فعلت هذا وأكثر.. أتحسبني كنت أمزح منذ الخامسة؟»
هنا وجدت أن أفضل ما أفعله هو أن ألحق به...

امقت هذه الدواعي التي أترك البيت بسببها.. لو كان في نزولي في ساعة كهذه بعض نفع للفتاة لفعلت، لكنّ الأمر هو نوع من الاستنزاف العاطفي لي.. لماذا أجلس في داري مستريحًا ما دام من الممكن أن أتعب؟ حتى ولو كان تعبي بلا جدوى...

* * *

ويمكنك بوصفك رجلًا ذا خيال أن تتصور منظر الأسرة من الطبقة المتوسطة إذ جلست على جمر، بانتظار خبر أي خبر..

كانت (ناهد) هناك وزوجها وطفلهما الذي يعوي كالذئاب جاعلًا الأمر جحيمًا بما

يشيعه من توتر..، والأم لا تكف عن البكاء والارتجاف، والأب هو متوفٍ ينتظر فقط أن نعلن أنه كذلك..

قلت وأنا أتأمل (ناهد) في تمعن:

- «أعتقد ـ وأنتم توافقونني - أن (نجلاء) لم تمس بأذى حتى هذه اللحظة».

قالت مؤيدة رأيي:

- «هذا أكيد.. لا أشعر بأدنى ألم..»

- «هل هي خائفة؟»

ـ «لا.. وإن هذا لغريب...»

ابتلعت ريقي وسألتها السؤال الأخير:

- «هل هي حية؟».

* * *

الفصل العاشر:

وهو مهم حقًا.. لكن لا يمكن فهمه دون قراءة ما سبق

ومن قال إن التطابق الشعوري بين توءمين، يجب أن يكون مطلقًا، ولا ينتهي في لحظة بعينها؟ من قال إنّه يجب أن ينتهي بموت التوءمين في لحظة واحدة؟ إن انتهاء الترابط الشعورى بين الأختين ـ في حالتنا هذه ـ قد يعني موت واحدة منهما..

يقول الإنجليز: إن عدم وجود أخبار هو خبر طيب.. أي إنّه لا توجد أخبار سيئة على الأقل.. وهو قول آخر من تلك الأقوال الشهيرة التي تبدو للوهلة الأولى حكيمة ثم يتضح أنها ساذجة.. تحيل مثلًا انقطاع أخبار أخيك في الحرب أو أبيك المسافر.. أحيانًا يكون انقطاع الأخبار خبرًا سيئًا في حد ذاته..

❋ ❋ ❋

وهكذا ظللنا جالسين في صمت لا تنقصنا سوى اقداح القهوة السادة، وصوت المقرئ لنكون في سرادق عزاء..

نهض (محمود) في عصبية وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابًا، ثم وقف وصاح:

ـ «إن هذا كله يحطم الأعصاب.. لو كانت مخطوفة فليقولوا هذا ويخلصونا.. ولو كانت ميتة..»

توقعت أن تلومه (ناهد) لكنّها لم تفعل.. هي فقط تكره الكلام عن موتها هي.. لهذا وأصل الكلام..

ـ «فليتصلوا بنا لندفنها!»

في اللحظة التالية تراجع رأس (ناهد) للوراء.. أكاد أقسم أن شفتيها قد ازرورقت.. وراح صدرها يعلو ويهبط ككباس قطار بخاري.. مدت يدها إلى عنقها كأنما تطلب الهواء، وراحت تحدث

أصوات شهيق وزفير متواصلة.. كانت في حالة (انعدام الحيلة) الشهيرة..

وصاح (محمود) في ذعر وهو يحدّق بعينيه الحولاوين فيها:

- «د. (رفعت)! ماذا يحدث لها؟»

- «إنها.. تختنق!»

- «ولماذا لا تفعل شيئًا؟»

- «لا يوجد سبب لهذا.. إن (ناهد) تعكس ما تمر به (نجلاء) الآن.. إن (نجلاء) في مكان ما تواجه خطر الغرق!»

- «يا للكارثة!!»

وجثا على ركبتيه جوارها، وهو يتمنى أن يفعل شيئًا لكنه لم يجرؤ حتى على لمسها.. فقط راح ينظر اليّ طالبًا العون ثم لها متوسلًا..

أخيرا بدأت تسترد لونها الطبيعي، وهدأت نوعًا.. واستطاعت أن تتحكم في جلستها على الأريكة.. لقد نجت (نجلاء).. هذا واضح..

الآن وقد اطمأننت إلى أن الصلة الشعورية لم تنقطع، صرت أكثر اطمئنانًا إلى أن (نجلاء) حية ترزق.. هي - فقط - تعاني، ومعاناتها تتضمن الغرق على كل حال..

- «ماذا تظنه يحدث للأخرى؟»

- «لا أدري.. حقًّا لا أدري..»

* * *

في الرابعة صباحًا، عدت إلى شقتي.. وكنت اعرف أن النوم لن يجيء، فهو كالحظ يجيء مرة واحدة فإن تجاهلته فيها لا يجيء ثانية.. وعلامات الشيخوخة التي حلت بي كان أولها ظاهرة (الاستيقاظ قبل الأوان) المميزة للشيوخ.. بحثت في مكتبتي عن رواية (الأخوان الكورسيكيان) للكاتب الأشهر (الكسندر دوما).. وكتبها عام ١٨٦٦.

وكان صوت أذان الفجر الأول يتردد من بعيد، حين بحثت وسط الصفحات عن فقرة المبارزة... ها هي دي..

(لوي) - التوءم الأول - يقف في ضاحية بـ (باريس)، ويده على زناد المسدس



مدت يدها إلى عنقها كأنما تطلب الهواء ، وراحت تحدث
أصوات شهيق وزفير متواصلة . .

وأمامه خصم عتيد.. إنها مبارزة لرد الشرف من التي يزخر بها أدب (دوما).. تنطلق الرصاصة الأولى لتستقر في جسد (لوي)..

في اللحظة التالية يشعر (لوسيان) - التوءم الثاني - الذي يمتطى صهوة جواده في (كورسيكا) بألم فظيع في صدره فوق الضلع السادس، ثم يخترق الألم صدره ليخرج من مفصل فخذه.. ذات مكان إصابة (لوي)..

لقد كان (دوما) بحس الفنان المرهف يصف بالضبط ما نحن بصدده هنا..

بعد هذا بأعوام عدة، وبالتحديد في عام ١٩٧٧ في المؤتمر الثاني لدراسات التوائم في (واشنجتون)، أعلن المؤتمرون ما يلي:

- لو انقسمت، البويضة الملقحة خلال الأيام العشرة الأولى من التلقيح فلا ينتظر أن يولد كل توءم بمشيمة منفصلة.

- لو حدث الانقسام بعد الأيام العشرة الأولى، يجيء توءمان متطابقان لهما ذات الشبه، ولكن أحدهما صورة مرآة للاخر.. أحدهما أيمن والآخر أشول.. أو اتجاه الشعر في أحدهما لليمين والآخر لليسار...

- لو حدث الانقسام بعد اليوم الثالث عشر يجيء التوءم السيامي الرهيب، حين يشترك التوءمان في قلب أو كبد أو صدر واحد.. والأمثلة على هذا شهيرة ومعروفة في كتب العجائب وكتب الطب

- لو جاء التوءمان من بويضتين منفصلتين فنن يكون بينهما تشابه.. وهو ما

يسمّونه بـ (التوءم غير المتماثل) أو Fraternal twins.

* * *

واحدة من كل تسعين ولادة تأتي بتوءمين.. وربع هؤلاء التوائم يكونون متطابقين.. إن (نجلاء) و(ناهد) جاءتا من بويضتين منفصلتين، لهذا هما توءمان غير متماثلين، لكنّ من الواضح أنهما احتفظتا بصلتهما الحيوية المتعلقة بالإحساس بالألم..

إن دراسات الدكتور (لويس كيث) من كلية الطب جامعة (نورث وسترن) بـ (إلينوي) لتعتمد اعتمادًا كبيرًا على

دراسات أستاذ آخر إيطالي هو (لويجي جيدا)، ولقد قام هذا الأخير بدراسة 15 ألف توءم منذ عام ١٩٥٣ حتى الآن، وقد توصل الاثنان في النهاية إلى أن علاقات التوائم الذهنية تتباين في مراتبها..

في أدنى المراتب يأتي الدافع المشترك: حين يرغب توءم في الاتصال بأخيه لمجرد أن أخاه رغب في نفس الشيء في الوقت ذاته.

في مرتبة أعلى يأتي التخاطر الذهني وتوارد الخواطر.. إن التوءم يفكر في ذات الأشياء التي يفكر فيها أخوه...

أما أعلى المراتب - كما يقول (لويس كيث) - فهي الاشتراك في الألم في الموضع ذاته والوقت ذاته..

هناك نظرية مهمّة طرحها (لويجي جيدا) بعد دراساته المضنية على التوائم، وهي نظرية (ساعة الحياة).. أي الساعة الحيوية التي تتحكم في أقدار التوائم.. إنهم يمرضون معًا ويتألمون معًا وكثيرًا ما يموتون في اللحظة ذاتها.. لم يكن لهذا تفسير واضح في ذلك الوقت، لكنّ الطب الحديث - طب التسعينات - عرف كثيرًا جدًا عن (الجينات)، وعرف أننا نحمل مصائرنا وأمراضنا محددة مرسومة في الصبغيات الموجودة بخلايانا..

ولما كان التوءمان يشتركان في الصبغيات، كان من الطبيعي أن يشتركا في المصائر والأمراض والساعات الحيوية..

كنت غارقًا في هذه الخواطر حين سمعت أذان الفجر.. سأصلي وأنام، وعسى ألا.. لم لا أنتزع فيشة الهاتف أصلًا؟ إن الأمر خطير لكني أشعر بحاجة أكثر خطرًا للنوم..

* * *

كما توقعت بالضبط ذهبت إلى الكلية لأجد (محمد شاهين) ينتظرني، وكان العرق يبلل صلعته وعنقه.. واضح أنه قضى أسوأ ليلة منذ ليلة زفافه، وهتف بمجرد أن رآني:

- «أين كنت يا أستاذ؟ إن هاتفك هذا..»

فشرحت له في صبر أنني كنت نائمًا كجثة، وكان عليه أن يجيء لداري ليوسع

الباب ركلًا لو كان متحمسًا إلى هذا الحد..
- «لم أستطع المجيء لأن الساعة كانت الخامسة صباحًا، وليست عندي سيارة.. لقد بدأت الآلام!»
- «(ناهد) تتألم!»
- «وبانتظام» - قال وعيناه تتسعان رعبًا
- «.. لقد ذاقت كل شيء من الدبابيس تحت الأظفار إلى حروق السجائر في شحمة الأذن إلى الصفعات..»
وارتجف هلعًا وأخرج منديله (المحلاوي) العملاق الذي يصلح كفنًا له، فجفف العرق على عنقه وقال:
- «(رفعت).. هناك من يعذب (نجلاء) بمنتهى الوحشية في هذه اللحظات..»

جلست شاعرًا بخطورة الموقف.. لم أدر ما أقول.. لماذا لا يصدّق هؤلاء الحمقى أنني لا أملك أدنى فكرة عما ينبغي قوله أو عمله؟

- «وفي رأيك من يفعل هذا؟»

- «لا أدري...»

وساد الصمت هنيهة، بعدها قلت في شرود:

- «حاول خنقها بإغراقها في الماء.. كان يمكنه التمادي لكنه كان يهدف إلى التعذيب لا أكثر.. بعد هذا استعمل أسلوب الدبابيس والحرق بالسجائر.. هل لدى (نجلاء) من يكرهها لهذا الحد؟»

- «إنها كما رأيت.. لا تملك شرًا ولا نجاحًا.. ولا أعداء»

فكرت قليلًا.. لن أستبعد أن تكون الفتاة في مكان ما تتسلى بتعذيب نفسها عالمة أنها تؤذي أختها باستمرار.. إن علاقة الأختين معقدة جدًا وتحتمل الكثير..

❋ ❋ ❋

وفي المساء ازداد الأمر سوءًا..

كانت (ناهد) تصرخ باستمرار بلا كلل.. وراحت تجذب ساقيها من تحت الملاءة في اشمئزاز، كما تفعل المرأة حين ترى فأرًا أو سحلية توشك على الجري فوق جلدها.. كان أداء جيدًا من (البانتومايم)، وأدركت دون جهد أنّ هذا ما تمر به (نجلاء) الآن..

سألني الزوج الملهوف وهو يحتضنها مهدئًا..
ـ «ماذا يحدث؟ إنها لا تتحمل الملاءة على قدميها»
- «كما ترى.. أعتقد أن من يعذب (نجلاء) يستخدم الفئران الحية الآن.. إنه لواسع الخيال حقًّا..»
بالطبع لم نتصور لحظة أن من يعذب (نجلاء) يفعل هذا ليعذب (ناهد).. إن الأمر واضح لك لأنك تتابع هذا كله من مقعد علوي يستوعب ويشمل كل التفاصيل.. أشبه بمن يراقب تخبط النملة في متاهة تبحث عن فتحة الخروج منها، أمّا نحن فقد كان الأمر مبهمًا بالنسبة لنا ولم نر الأمور بهذا الوضوح قط.

قال لي (محمود) وهو يعتصر طفله الصارخ ليخرسه:

- «هل يمكننا استخدام هذا الشعور المشترك بينهما في العثور على الأخرى؟»

- «هذا ما أفكر فيه..»

وجلست على طرف الفراش، وانتظرت حتى هدأت نوعًا ثم سألتها:

- «(ناهد).. أغمضي عينيك وفكري جيدًا..»

نظرت لي في شك.. ثم فعلت كما قلت..

- «هل تشعرين أو تشمين شيئًا؟ هل تسمعين شيئًا؟»

كان هذا ينجح في القصص دائمًا.. ستشم رائحة ياسمين وتسمع صوت طائرة وصوت قطار.. وتسمع قطرات ماء على

النافذة.. عندها نستنتج أنها - (نجلاء) - سجينة في كوخ جوار حقل ياسمين قرب مطار وقضيب سكك حديدية، وبالطبع هناك ماسورة مياه أو ميزاب جوار النافذة.. هذا ينجح في القصص لكنه لا ينجح في الواقع أبدًا.. فالفتاة - ببساطة - لا تشعر ولا تسمع أو تشم شيئًا..

- «لن يصلح هذا..»

قالها د. (محمد) في ذكاء، فنظرت له بغل.. ليته لا يتحفني باستنتاجاته العبقرية هذه لدقائق..

قلت لها من جديد:

- «حاولي أن تركزي.. سنطفئ النور ونغادر الحجرة.. فكري في الكلمة التي

تتردد الآن في ذهن (نجلاء).. فكري.. فكري..»

قلت هذا وأنا أجذب الرجلين خارجًا من الحجرة ببطء..

وجلسنا من جديد على الأريكة التي تسترها سجادة الصلاة، وكانت الأم قد أعدت لنا بعض الشاي كالعادة.. أمّا الأب فكان في الفراش يمارس كل مهام الجثة كدأبه منذ اختفت (نجلاء)..

قال (محمود):

- «لقد أبلغنا الشرطة هذا الصباح..»

- «هذا جيد.. لكنّ لابد من خيط يبدءون منه»

ثم رحت أقلب أفكاري كما يقلب الفأس الأرض بعد زراعة البطاطس.. طبقات

أخرى لم تخطر لي ببال تظهر..

من خطف (نجلاء) - وهي غالبًا مخطوفة - لا يريد موتها.. يريد عذابها.. لا توجد طريقة عقليّة ما للبحث عن (نجلاء)..

وفجأة صحت في حماسة حتى انسكب الشاي من يدي على الأريكة كعادتي:

- «انتظر!.. لديَّ فكرة.. فكرة عبقرية!»

- «اهنئك...» قال د. (محمد).

ونهضت مسرعًا إلى الحجرة، وأنا أردد:

- «سنجد (نجلاء).. وسنجدها بسهولة!»

- «ولكن هلا شرحت لنا ما..»

مددت يدي إلى المقبض لأفتحه، حين سمعت صرخة (ناهد) تتردد في أرجاء الغرفة الموصدة:

- «صلاااح!»

* * *

هنا أجدني مضطرًا للتوقف لأن لساني قد أرهقه السرد، وضوء الفجر يتسلل من خصاص النافذة.. أريد أن أنام...

وماذا حدث بعدها؟ بالطبع سأحكي ذلك بالتفصيل.. المفروض أن نعرف في الجلسة القادمة ما حدث للتوءمتين.. ونعرف كيف وجدت (نجلاء) بفكرتي العبقرية.. ونعرف ما حدث لـ (صلاح) هذا..

انتظرني فإني عائد كالعادة بتكملة هذه القصة، ما لم أمت طبعًا وهو احتمال وارد.. لكني احسبكم ستتضايقون لموتي

أكثر من ضيقكم بقصة غير مكتملة.. ولسوف يشفع لي هذا بعض الشيء.

فإلى لقاء......

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

* * *

رقم الإيداع: ١٦٠٦

المطبعة
العربية
الحديثة
٨ و١٠ شارع ٤٧
المنطقة الصناعية
بالعباسية
القاهرة ت:
٢٨٢٣٧٩٢ -
٢٨٣٥٥٥٤

الفهرس

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

روايات مصرية للجيب

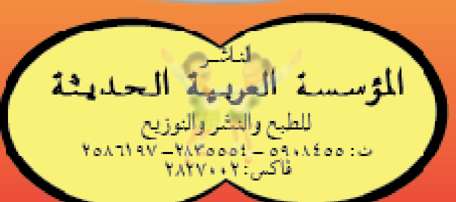


ثمة أسرار كثيرة وعلامات استفهام لا حصر لها تحيط بالتوائم .. وفي هذه القصة يقابل د. (رفعت إسماعيل) للمرة الأولى ظاهرة غريبة بعض الشيء .. إن للتوءمتين (نجلاء) و(ناهد) سرًا صغيرًا .. وهذا السرّ لا يمكن إذاعته هنا على الغلاف الأخير ، وإلا ما عاد سرًا ..!



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم:
أسطورة التوءمين


الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ – ٢٨٣٥٥٥٤ – ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

الثمن في مصر
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

Notes

[←1]

أرواح وأشباح. دار الشروق. الطبعة الثالثة عشرة.

[←2]

حقيقة.